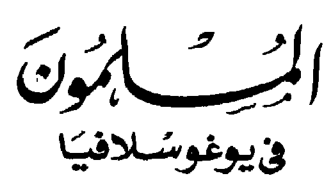
المسلمون في يوغوسلافيا

أ.د. سامي الصقار

دار الشواف




المسلمون
في يوغوسلافيا

- أصدرته عام ١٩٩٢م دار الشواف

طبع بالمطبعة الفنية ـ عابدين ـ القاهرة. ت: ٣٩١١٨٦٢

الناشر دار الشواف للنشر والتوزيع

دار الشـــواف للنشر والتوزيع

الريـاض - العليـا - شـارع الثلاثين - شـــرق بنده ت ٤٦٢٢٦٣٠ - ٤٦٢٢٦٦٧ فاكس ٤٦٢٢٨٦٦

Riyad - Olaiya, Thalatheen St , (East to Panda) Tel 4622630 - 4622667 - Fax 4622866

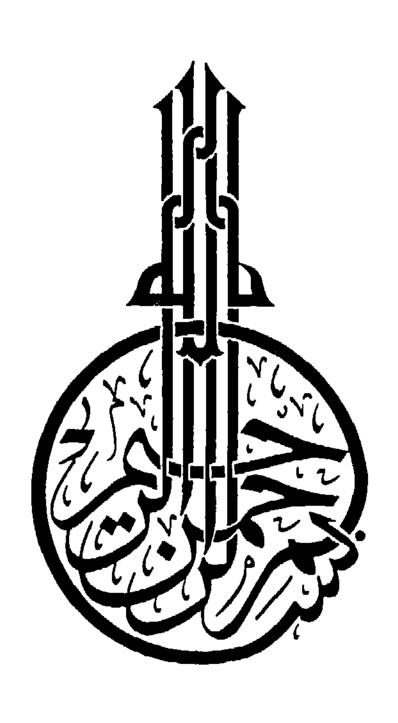
المسلمون

في يوغوسلافيا

بقلم

أ.د سامي الصقار

دار الشواف


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الموضوع	الصفحة



مقـــدمة :

تستقطب يوغوسلافيا فى الوقت الحاضر (أي فى الثلث الأول من عام ١٤١٢هـ الموافق للنصف الثانى من عام ١٩٩١م) اهتمام العالم، ولا سيما وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها، بالنظر للأحداث الدموية التى تمر بها، ذلك أن ريح التخلي عن النظام الشيوعي قد هبت على بعض الجمهوريات التى تتألف منها الدولة الاتحادية اليوغوسلافية، متأثرة بموجة التحرر التى سادت دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفياتى على السواء، حيث تخلت أكثر تلك الدول عن الشيوعية واختارت لنفسها النظام الديمقراطى السائد فى أوربا الغربية. وقد مرَّ التحول فى بعض تلك الدول بسلام دون إراقة دماء، كما هو الحال فى بولندا وجيكوسلوفاكيا والمجر وبلغاريا، فى حين شهد بعضها الآخر صراعاً دامياً سفكت فيه الدماء وطاحت الرؤوس، كالذى حصل فى رومانيا وانتهى بإعدام رئيس الجمهورية وزوجته، وفضلاً عن ذلك فإن الاضطرابات لا زالت تعمها حتى كتابة هذه السطور.

أما فى يوغوسلافيا فإن التحول بدأ سلمياً عندما اقتصر التغيير السياسي على اختيار حكومات من خارج الحزب الشيوعي اليوغوسلافى الذى يسمى عادة (رابطة الشيوعيين اليوغسلاف) فاختارت كل من جمهوريتى سلوفينيا وكرواتيا حكومة غير شيوعية، بينما تمسكت صربيا بشيوعيتها. وكان من المتوقع أن تمر هذه التحولات بسلام، لولا أن سلوفينيا، ومن بعدها كرواتيا، أعلنتا استقلالهما عن يوغوسلافيا (١)، مما أثار صربيا بصفتها كبرى جمهوريات يوغوسلافيا، والأمينة على ضمان وحدتها وراعية للعقيدة الشيوعية فى البلاد، إذ رأت فى انفصال الجمهوريتين ضربة قاضية على اقتصادها لأنهما أكثر جمهوريات يوغوسلافيا تقدماً، لاسيما فى الصناعة التى تدر ربحاً وفيراً ليوغوسلافيا كلها. بل إن موارد الجمهوريتين المذكورتين من العملات الصعبة تكاد تغطى حاجات الدولة الاتحادية بأسرها. ثم إن صربيا خشيت أن تحذو بقية الجمهوريات حذو كرواتيا وسلوفينيا، بل إن هناك حركة انفصالية مزمنة ضمن صربيا نفسها يقودها المسلمون الألبان من سكان إقليم قوصوه (كوسوفا). ولذلك فإن التهاون مع الجمهوريتين سيؤدى بالنتيجة إلى تفسخ يوغوسلافيا وانحلالها.

لذلك كان رد فعل صربيا عنيفاً، فعمدت إلى استخدام القوات العسكرية الاتحادية لضرب كرواتيا بالذات، لأنها ثانى

---

(١) وذلك فى ٢٥/٦/١٩٩١م الموافق ١٣ ذى الحجة ١٤١١هـ.

الجمهوريات حجماً بعد صربيا، وتتمتع بساحل طويل على بحر الأدرياتيك، مما يمكّنها من فرض الحصار البحري على صربيا. وعلاوة على ذلك فإنها العدو التقليدى لصربيا، إذ تعود تلك العداوة إلى جذور تاريخية ودينية (ذلك أن الصرب من أتباع الكنيسة الأورثوذكسية الشرقية، فى حين أن الكروات هم من الكاثوليك الغربيين)، فضلاً عن وجود ثارات بين الشعبين تجددت خلال الحرب العالمية الثانية عندما تحالف الكروات مع الألمان ووقف الصرب فى المعسكر الآخر، فدخل الفريقان فى صراع دموي رهيب بقيت آثاره ماثلة فى ذكريات الشعبين، وكانت تلك الذكريات كفيلة بتفجير الوضع فى الوقت الحاضر، الأمر الذى تحول إلى حرب طاحنة مدمرة، حاولت الدول الغربية، ولا سيا الدول الأوربية وضع حد لها، إلا أنها لم توفق حتى كتابة هذه السطور.

وقد أثرت هذه الحرب بدورها على بعض الجمهوريات اليوغوسلافية الأخرى، وفى مقدمتها جمهورية البوسنة والهرسك التى تقطنها أغلبية مسلمة، إذ شن الجيش اليوغوسلافي هجماته على كرواتيا عبر أراضى البوسنة، مما أثار حفيظة المسلمين وغضبهم، وقد عبر عن ذلك رئيس وزراء البوسنة والهرسك (وهو مسلم) عندما صرح عن استيائه واستنكار شعبه لما أقدمت عليه صربيا، وقد هدد بدخول بلاده فى المعركة (وقد كان ذلك عبر محطات التليفزيون البريطاني فى الأسبوع الثالث من أيلول / سبتمبر ١٩٩١م ــ ربيع الأول ١٤١٢هـ). وهكذا لم يبق المسلمون فى منأى عن آثار

الأحداث الجديدة ، هذا علاوة على الكفاح الذى كان سكان اقليم (قوصوه) يخوضونه ضد تسلط صربيا .

فى الواقع أن المسلمين كانوا على بصيرة من أمرهم ، وقد أدركوا مبكراً أن الظروف تقتضي منهم اليقظة وإعداد أنفسهم لمواجهة المستجدات على الساحة اليوغوسلافية خاصة والساحة الدولية عامة . ولذلك تنادوا إلى عقد مؤتمر إسلامي يتدارس أوضاعهم ، وقد تم عقد المؤتمر فى شهر أيار/مايو ١٩٩٠ ــ ذى القعدة ١٤١١هـ) . وهو أول مؤتمر إسلامي يعقد فى يوغوسلافيا منذ الحرب العالمية الثانية ، حضره ممثلو المسلمين فى البوسنة والهرسك مع ألف من ممثلي (٧٣) مدينة يوغوسلافية يسكنها المسلمون بما فى ذلك مدينتي (سراييفو وموستار) . وشهد المؤتمر خمسون صحفياً من اليوغوسلاف والأجانب ، وممثلون عن الأحزاب اليوغوسلافية ومندوبون عن مسلمي أستراليا وكندا والولايات المتحدة الأميركية وألمانيا وغيرها . وخرج المؤتمر بمجموعة من التوصيات والقرارات يوصي بها المسلمين فى شرق أوربا بالاستمرار في التمسك بهويتهم الإسلامية التي ناضلوا من أجلها على مدى التاريخ ، كما يناشد المنظمات الإسلامية والعالمية مساعدة الشعب الألباني ، ويحث الجامعات العربية على فتح الفروع لها في دول شرق أوربا ، وأوصى المؤتمر كذلك بنقل مقر «المجلس الإسلامي» لدول أوربا الشرقية إلى مدينة سراييفو.

لا شك أن هذه الخطوة تبشر بخير، وكم كنت أتمنى أن يكون ممثلو الأقطار الإسلامية فى مقدمة من حضر مولد هذا الحزب

الإسلامي ، حيث أن وجودهم يشكّل دعماً قوياً للوعي الإسلامى في هذه البلاد المنسية ، خاصة فى هذا الوقت الذى صارت فيه الشعوب اليوغوسلافية (فى مختلف جمهورياتها وأقاليمها) تدرك الخطر الذى يتهدد وجودها الديني والقومي بسبب تسلط صربيا على مقدرات الحكومة الاتحادية فى بلغراد ، وأن الخطر الذى يتهدد المسلمين يفوق الأخطار التى تتعرض لها الشعوب النصرانية فى يوغوسلافيا ، لأن القضية بالنسبة لهم هى مسألة عرقية ومسألة مصالح مادية فحسب ، فى حين أنها بالنسبة للمسلمين تشمل فوق ذلك مسألة العقيدة والانتماء .

وعلى أية حال فإن الظروف الحالية توجب على المسلمين أن يتعرفوا على إخوانهم المنسيين فى يوغوسلافيا ، ويلموا بشيء من تاريخهم وحاضرهم . وهذا فى الواقع هو الذى دفعني إلى تحرير هذه الوريقات عن مسلمي يوغوسلافيا ، وقد كتبتها على عجل كي أضعها بين أيدى القراء العرب . وأود بهذه المناسبة أن أنبه القارىء العزيز لكيلا يتوهم بأن ما بين يديه هو دراسة منهجية لأحوال المسلمين فى يوغوسلافيا ، وإنما هى فى الأساس مجرد خواطر وذكريات وانطباعات كوّنتها أثناء عملي الدبلوماسي فى تلك البلاد ، يضاف إليها حصيلة بعض قراءاتى العابرة هنا وهناك . وقد رأيت أن من المفيد أن أسجلها بشكلها (الخام) دون إخضاعها إلى معايير الدراسة المنهجية بسبب السرعة أولاً ، ثم إننى لو فعلت ذلك لكنت قد تطفلت على مائدة التاريخ الحديث ، وإنني لست من أهل تلك المائدة ، وكل هدفي هو لفت الأنظار إلى الوجود

الإسلامى فى يوغوسلافيا والدعوة إلى دعمه وتعزيزه، إذ يؤلف المسلمون فى يوغوسلافيا أكبر تجمع إسلامى منظم فى أوربا، وبالإمكان الاستفادة منه ليكون قاعدة لحملات نشر الإسلام فى القارة الأوربية، خصوصاً وأن عدداً غير قليل من مسلمي يوغوسلافيا قد عرفوا طريقهم إلى كثير من الأقطار الأوربية ــ كمهاجرين ــ مثل الأقطار الإسكندنافية وألمانيا والنمسا وغيرها، ورسخوا وجودهم فيها.

وهناك نقطة أخرى جديرة بالتنويه، وهي ما لاحظته عن ترحيب الجامعات الغربية بما يكتبه الدبلوماسيون السابقون من خواطر وذكريات وانطباعات عن أوضاع البلاد التى خدموا فيها، سواء أكان ذلك بالنسبة لماضي تلك البلاد أم حاضرها، لأن مايكتبه هؤلاء يكون عادة من منظور يختلف عن منظور الأكاديميين، ولا تخفى فائدة هذا المنظور الذى يؤدي وجوده إلى تنويع فى النظرة والمواقف. والحق أن ذلك كله كان فى ذهني وأنا أخط هذه الوريقات، فعساني وفقتُ في أن أسد بها بعض الفراغ، والله الموافق.

أ.د. سامى الصقار

سفير العراق سابقاً فى يوغوسلافيا وبلغاريا
وأستاذ التاريخ الإسلامى فى جامعة الملك سعود
بالرياض



نفوذ الإسلام المبكر إلى بلاد البلقان:

يخطىء كثير من الناس (وكنت واحداً منهم قبل تعرفي على بلاد البلقان) عندما يقولون بأن الإسلام دخل البلقان ـ ومنها أقاليم يوغوسلافيا ـ على أيدي العثمانيين[1]. فالمعروف أن التجار المسلمين كانوا يركبون البحر الأبيض المتوسط حاملين تجارتهم إلى السواحل الأوربية، حيث يحطون فى موانئها ليتاجروا مع أهلها. ولكنهم لم يكتفوا بالتعامل التجاري وحده، وإنما اختلطوا بالأهالى شأنهم فى ذلك شأنهم مع جميع البلدان الأخرى التي كانوا يتاجرون معها من الصين شرقاً حتى شواطىء الأطلسي غرباً. وقد عرفهم الأهالى وعرفوا صدقهم وأمانتهم فأعجبوا بهم وبأخلاقهم، فأكرموا وفادتهم، وتقربوا إليهم واطلعوا على سماحة دينهم، فاعتنقه الكثيرون منهم[2].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فهناك روايات تشير إلى أن العرب قد ساعدوا البلغار فى بعض حروبهم ضد البيزنطيين فى القرن الثانى

الهجري (الثامن الميلادى)، وأذكر أننى قرأت ذلك فى مجلة بلغارية تصدر باللغة العربية، والمؤسف أن تلك المجلة قد ضاعت مني. ولعل المجلة تشير إلى الروايات القائلة بأن المأمون ساعد خصوم بيزنطة بسبب دعم البيزنطيين للثائر بابك الخرمي. والمعروف أن نزاعاً قام بين توماس وميخائيل الطامعين بالعرش البيزنطي، ويقول بعض المؤرخين بأن توماس لو وفق فى اعتلاء العرش لكفى العرب مؤونة القتال ولكان توماس تابعاً للمأمون(٣) وعلاوة على ذلك هناك الحملة الإسلامية التى سارت فى عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م إلى البلقان، وتمكنت من فتح مدينة سالونيك، وكانت هذه الحملة فى الأصل متجهة إلى القسطنطينية لتأييد عناصر عسكرية بيزنطية متمردة فى آسيا الصغرى ضد الإمبراطور ليو السادس (٢٧٣هـ- ٣٠٠هـ/ ٨٨٦م- ٩١٢م) لكن التمرد فشل مما أدى إلى تغيير اتجاه الحملة الإسلامية، فاتجهت لمهاجمة سالونيك التى استولت عليها بقيادة ليو الطرابلسي، وهو شخص يوناني الأصل اعتنق الاسلام وأصبح من كبار أمراء البحر المسلمين(٤).

كذلك هناك روايات أبي حامد الغرناطي (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) وهو عالم مسلم ورحالة عاش فى المجر وتولى مشيخة الاسلام فيها، تحدث فى كتابه «تحفة الألباب ونخبة الآداب» عن المسلمين فى تلك البلاد. وذكر أنه زار «بشغرديا» سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م، وزوّج ابنه من إحدى بنات أعيان المسلمين فيها(٥). ويذكر ياقوت الحموي بأنه لقي فى حدود سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م بمدينة حلب طائفة كبيرة من الناس يقال لهم «الباشغردية» وهم

شقر الشعر والوجه ، يتفقهون على مذهب أبي حنيفة (رحمه الله).
وقد سأل رجلاً منهم عن بلادهم وحالهم ، فقال له : إن بلادهم تقع وراء القسطنطينية على مسافة شهر ونصف منها ، في مملكة أمة من الفرنج يقال لهم «الهنكر» (ولا شك أن المقصود هو هنغاريا الحالية ، أي بلاد المجر). وذكر بأنهم مسلمون يخضعون لملك تلك البلاد في نحو ثلاثين قرية تقع في طرف من بلاده ، كل واحدة تكاد تكون بُليدة. وسأله ياقوت عن كيفية إسلامهم مع كونهم في وسط بلاد النصارى ؟ فقال الرجل : إنه جاء إلى بلادهم منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد البلغار وسكنوا بينهم وتلطفوا في تعريفهم بالإسلام ، فهداهم الله إليه. وذكر أنهم يأتون إلى حلب للتفقه في الدين ، فإذا رجعوا إلى بلادهم أكرمهم أهلها وولوهم أمور دينهم(٦).

وهكذا كان أفراد من علماء المسلمين والمتصوفة كانوا يقصدون بلاد البلقان لنشر الإسلام في وقت مبكر. ومما يؤيد ذلك أن في يوغوسلافيا تكية (أي رباطاً للصوفية) تنسب إلى شيخ اسمه «صاري سلتوق» تقول عنه الروايات إنه حلَّ في سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م. في «دبروجه» التي تقع حالياً في رومانيا ، وكانت آنذاك تابعة للبيزنطيين ، وكان معه أربعون رجلاً من التركمان ، وقد دخل في خدمة أمير المغول الذى كان يحكم بعض سواحل البحر الأسود. وتقول تلك الروايات إن «صارياً» هذا له الفضل في نشر الإسلام في بلاد البلقان ، وتنسب إليه الكثير من الأعمال الخارقة ، إذ يقول الرحالة العثماني أوليا چلبي: إنه تمكن من قتل

تنين كان يخيف أهل دبروجة ، مما حمل ملكها وأربعين ألفاً من أهل البلاد على الدخول فى الإسلام. ثم توجه صارى سلتوق إلى بولندا وتمكن من هداية التتار من سكانها إلى الطريق المستقيم، وإنه استقر (١٥٠) ألفاً منهم فى غدانسك (دانزيك)، بينما يمم آخرون وجوههم شطر موسكو. وقد أدى ذلك إلى دخول (٦٠٠) ألف من التتار فى الإسلام. ولقد تحول هذا المجاهد إلى ما يشبه الأسطورة، خصوصاً بالنسبة لأتباع الطريقة البكتاشية. وقد جمعت أخباره فى كتاب يسمى «سلتوق نامه»، وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادي. وتصوره هذه الكتابات داعية كبيراً تفانى فى نشر الإسلام فى البلقان خاصة وأوربا عامة(٧). وهذه الأخبار على ما فيها من مبالغات وخيال، تدل على قدم الإسلام فى تلك البلاد، وأنه كان للصوفية فضل كبير فى نشر الإسلام فى شرق أوربا ومنها يوغوسلافيا، وأن دورهم لا يقل أهمية عن دور الفاتحين ودور العلماء(٨).

من المعروف أن أغلب سكان البلقان كانوا من العنصر السلافي، ويطلق الجغرافيون العرب عليهم اسم «الصقالبة»(٩). وهذه الشعوب تقطن فى الأصل فى الأراضي المجاورة لبلاد الخزر بين القسطنطينية وأرض البلغار، ولقد تعرف العرب عليهم منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، من خلال حملاتهم على الروم. ويقال إن مسلمة بن عبدالملك أثناء حملته على القسطنطينية عام ٩٧ــ٩٩هـ/ ٧١٥ــ٧١٧م استولى على مدينة الصقالبة بعد اجتيازه حدود بلاد الروم(١٠)، أما ياقوت فإنه يقول بأن تجار

المسلمين كانوا يقصدون بلاد الصقالبة بأنواع التجارات(١١). وهناك أخبار أخرى تؤكد أن المسلمين (ولعلهم من الذين لقيهم ياقوت فى حلب كما أسلفنا) حاربوا تحت لواء ملك المجر، فشاركوا فى حصار مدينة ميلانو فى سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م، وأن هؤلاء المسلمين اشتركوا فى محاولة لصد التتار عن بلاد المجر فى سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م، وأنهم حاربوا مع ملك مجري آخر فى منطقة مورافيا فى سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م. ومع كل هذه التضحيات لم يسلم هؤلاء المسلمون من الاضطهاد النصراني، مما اضطر الكثيرين منهم على الهجرة إلى البلاد الإسلامية وغيرها، ومنها بلاد البوسنة (البوشناق أو البجناك). وقد أدى ذلك إلى ظهور مذهب جديد فى تلك البلاد تحت تأثير الوجود الإسلامي، هو مذهب «بوغوميلى» الذي يشبه فى كثير من الوجوه الدين الإسلامي، بل يطابقه فى بعض تعاليمه، مما سهل للعثمانيين فيما بعد فتح تلك البلاد ونشر الإسلام فيها بيسر وسهولة(١٢).

وبناء على تلك الظروف انتشر الإسلام فى صفوف الشعوب اليوغوسلافية، ولذلك فإن مسلمي يوغوسلافيا ليسوا من عنصر واحد، فإلى جانب أهل البوسنة المرسك، هناك الصرب وسكان الجبل الأسود، وهناك المقدونيون والألبان والأتراك، وهناك بعض الكروات والسلوفينيين. إلا أن غالبية مسلمي يوغوسلافيا هم من الألبان والبوشناق، والأخيرون من العنصر السلافي الذى اعتنق الإسلام، ولم يكونوا من المهاجرين الأتراك أو غيرهم، كما قد يتوهم البعض، وهم لا يزالون بالفعل يتكلمون لغة سلافية لا تختلف

عن لغة أهل صربيا أو كرواتيا أو الجبل الأسود، وليس لهم لغة أخرى. غير أنهم يصرون على أن قوميتهم هي «الإسلام» ولا قومية لهم غيرها، وقد اعترفت لهم الحكومة اليوغوسلافية بهذه القومية. وفى إحصاء عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م كان عدد هؤلاء المسلمين الذين اتخذوا الإسلام قومية لهم ٢,٣٤٠,٠٠٠ نسمة، بينما كان عدد الألبان المسلمين ١,٨٠٠,٠٠٠ وعدد الأتراك ١٠٠,٠٠٠، علاوة على مسلمين من قوميات أخرى(١٣). وهكذا يتجاوز عدد المسلمين فى الوقت الحاضر الأربعة ملايين وربع المليون من أصل سكان يوغوسلافيا البالغ عددهم (٢٢) مليوناً، أي أنهم يؤلفون أكثر من ٢٠٪ من المجموع وفقاً للإحصاء الذى أشرنا إليه آنفاً. وبلغ عدد المسلمين ٦ ملايين نسمة من مجموع سكان يوغوسلافيا البالغ عددهم ٢٤ مليونـًا فتكون نسبتهم ٢٤٪ حسب آخر احصاء والذى جرى هذه السنة(١٤).

الفتح العثمانى ليوغوسلافيا:

بدأ الفتح العثمانى ليوغوسلافيا فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، عندما أصبحت بلاد البوسنة جارة للدولة العثمانية التى سبق لها أن استولت على بعض أجزاء من مقدونيا وإقليم كوسوفو (قوصوه) فى معركة قوصوه المشهورة التي وقعت فى سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م، وقد انتصر فيها العثمانيون على التحالف البلقاني النصراني(١٥). وقد أتاح ذلك لهم إمكانية الاستيلاء على إقليم صربيا وأعطى لطائفة «بوغوميلي» فرصة أكبر للتعرف على

العثمانيين المسلمين والوقوف على حقيقة الإسلام، فتمنوا لو أن العثمانيين فتحوا بلادهم، غير أن غارة التتار على الدولة العثمانية أخرت تحقيق هذه الأمنية حتى سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م، وهكذا دخل هؤلاء فى الاسلام أفواجاً أفواجاً، وفوق ذلك فإن هؤلاء المسلمين الجدد شاركوا فى الفتوحات العثمانية، كما شاركوا فى الدفاع عن الدولة الإسلامية أمام الغزوات الصليبية المتكررة. وعلى الرغم من تلك الغزوات فإن الفاتحين المسلمين ضمنوا الحرية الدينية للجميع، وأعطوا عهدهم لأهل الذمة بصيانة معابدهم وضمان الحرية لهم فى ممارسة عباداتهم.

ولقد شهدت البلاد المفتوحة تحت الحكم العثمانى ازدهاراً فى مختلف النواحي، إذ أقام العثمانيون الكثير من المؤسسات العامة كالطرق والجسور والأسبلة ودور الضيافة والمطابخ العامة لتغذية الفقراء(١٦). أما الطرق فقد أعجب بها الأوربيون، حتى إن رحالة فرنسياً مر بيوغوسلافيا فى سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م وشاهد شق الطرق فى الجبال الوعرة، ذكر بإعجاب أن أحد تلك الطرق كان يبنى على نفقة أحد المسلمين **قربة إلى الله تعالى**، وتمنى لو أخذ النصارى من هذا العمل الإنساني نموذجاً يحتذونه فى بلادهم(١٧) !! كذلك أنشأ العثمانيون الجوامع والتكايا والزوايا والخانات والحمامات، ووقفوا عليها الأوقاف الطائلة التى كان لها الفضل فى دوام تلك المؤسسات واستمرارها فى تأدية واجباتها الإنسانية(١٨).

كذلك ازدهرت العلوم فى تلك الفترة، وظهر علماء كثيرون فى مختلف فنون المعرفة، وتميز انتشار الإسلام فى يوغوسلافيا، ولا سيما فى جنوبها بامتداد ثقافي واضح، وتجذرت الثقافة العربية الإسلامية، حتى تحول المثقفون إلى الكتابة باللغة العربية فى الآداب والعلوم. وكان للمدارس والتكايا دور كبير فى ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية، لا سيا وقد دعم تلك المؤسسات وجود الأوقاف، مما أدى إلى انتشار المدارس والتعليم بشكل واسع. وكان أغلب التدريس يجرى باللغة العربية(١٩) حتى بلغ عدد المدارس العالية فى الجنوب وحده (١٠٠) مدرسة، أولاها مدرسة اسحق بك التى أسست عام ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م، وقد حظيت بشهرة واسعة جعلتها أشهر مدارس البلقان. وكان يلحق بكل مدرسة مكتبة، واشتهرت من بينها مكتبة عيسى بك فى سكوبيا التى كانت تعتبر أكبر مكتبات منطقة البلقان فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى. وصارت هذه المكتبات مراكز مهمة للكتب العربية المخطوطة. وتتضمن وثيقة عربية تعود إلى سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م، هى وقفية اسحق بك، ذكر عدد من الكتب العربية المخطوطة الثمينة التى أهداها اسحق المذكور إلى مكتبة مدرسته(٢٠) المذكورة آنفاً.

ولقد كان هذا الازدهار العلمى الذى شمل يوغوسلافيا فى ذلك العهد مثار إعجاب الرحالة الأوربيين الذين مروا بها، إذ لاحظ رحالة فرنسي زار يوغسلافيا في سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م، أن العثمانيين يبذلون جهوداً كبيرة لتعليم أطفالهم الكتابة العربية. ولتحقيق ذلك أنشأوا فى داخل المساجد بعض المبانى الخاصة ليتعلم

فيها أولادهم القراءة والكتابة وقواعد اللغة العربية ، وأن هذا التعليم يشمل البنات أيضاً. ثم استطرد يقول : ولا توجد قرية صغيرة إلا وفيها مثل هذه الأماكن(٢١). والحق أن المدارس والمكتبات انتشرت فى كل مكان، ذلك أن العثمانيين نقلوا نظام المدارس الإسلامية إلى يوغوسلافيا، وقد سبق وأشرنا إلى واحدة من المدارس التى أنشؤوها فى سكوبيا، أما أول مدرسة فى البوسنة محفوظ ذكرها فى المصادر، فهي التى بناها أحد ولاة البوسنة بين عامى (٩١١ــ ٩١٨م/ ١٥٠٥ــ ١٥١٢م) فى مدينة سرابيغو. أما المدرسة التي اكتسبت شهرة كبيرة فهي المدرسة التي بناها الوالي الغازي خسرو بك فى المدينة نفسها فى سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٧م، ثم تتابعت المدارس فى كل مكان(٢٢). وقد كان يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية حتى بلغ عدد تلك العلوم ١٤ علماً(٢٣).

وإلى جانب المدارس وجدت ــ كما أسلفنا ــ المكتبات التى كانت غنية بالكتب المصنفة فى مختلف العلوم باللغة العربية والتركية والفارسية(٢٤). وأبرز هذه المكتبات الباقية حتى عصرنا هذا، مكتبة الغازي خسرو بك(٢٥)، وهي تحوى أعداداً غير قليلة من المخطوطات العربية والتركية والفارسية والصربية، يزيد عددها على عشرة آلاف مخطوط وقد فُهرست هذه المخطوطات، وطبع من فهارسها مجلدان. وبالنظر لأهمية تلك المخطوطات فإن معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية قد اختار حوالي ٧٠٠ مخطوط منها لتصويرها(٢٦). وقد عدت هذه المكتبة الرابعة فى أوربا من حيث عدد المخطوطات الإسلامية القديمة(٢٧). وهناك

مكتبة أخرى أسست فى عام ٩١٩هـ/ ١٥١٣م فى مدينة «بريزرن» فى إطار المدرسة العليا التى بناها المؤرخ سوزي چلبي الذي كان يدرس فيها أيضاً، وقد أهدى چلبي كتباً عربية كثيرة إلى مدرسته تلك(٢٨).

وعلاوة على الجوامع والمدارس والمكتبات، فإن تكايا الطرق الصوفية كان لها دور كبير فى نشر التراث العربي. وقد بدأت هذه التكايا فى الظهور منذ القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، وكان ارتباط الطرق الصوفية بالعالم العربي وثيقاً، وكان أتباعها يكثرون من السفر إلى العراق ومصر والشام للحصول على إجازات بالمشيخة. وقد كان فى كل تكية مكتبة غنية بالكتب العربية المخطوطة(٢٩). ربما كان أكثرها مما جلبه أولئك الصوفية من البلاد العربية التى زاروها.

وبلغ انتشار الإسلام فى يوغوسلافيا ذروته فى القرن الحادى عشر الهجري/ السابع عشر الميلادى، حتى صارت مدينة سكوبيا مثلاً مركزاً كبيراً للثقافة الإسلامية، ففى سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م عندما زارها الرحالة العثماني أوليا چلبي كانت تحوى (١٢٠) جامعاً و(٢٠) تكية و(٧٠) مدرسة ابتدائية، وعدداً كبيراً من المدارس العليا، علاوة على (٩) دور للقرآن الكريم. وقد أدى ذلك إلى انتشار اللغة العربية حتى صارت لغة الأدب والشعر الذي صار ينظمه أهل البلاد باللغة العربية، بل إن اللغة الصربية صارت تكتب بالحروف العربية. وقد صنفت فيها الكتب والمعاجم

وأخذوا يسمونها Bosancica أو Arebica (٣٠). وهذا يذكّرنا بما حصل فى الأندلس عندما صار الأسبان يكتبون لغتهم بحروف عربية. وحصل مثل ذلك بالنسبة للغة الألبانية أيضاً. وهكذا صار مثقفو تلك البلاد يتقنون العربية إلى جانب إتقانهم لغاتهم المحلية واللغة التركية باعتبارها اللغة الرسمية للدولة، بل إن هذه الظاهرة ظلت قائمة حتى العصور المتأخرة، وخير من يمثلها الشاعر الألباني الحاج عمر لطفى بشاريزي، من سكان إقليم قوصوه (كوسوفو) المولود عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م (المتوفى عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، فقد كان له شعر كثير باللغة العربية، ولا سيا فى الموضوعات الصوفية (٣١). كما كان بين علماء البوسنة من صنف كتباً باللغة العربية، مثل كتاب «الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء البوسنة» الذي صنفه محمد بن محمد الخانجي، ويلقي هذا الكتاب بعض الضوء على الحركة الثقافية الإسلامية فى هذا الإقليم اليوغوسلافي.

فى الحقيقة إن عدداً غير قليل من علماء المسلمين فى يوغوسلافيا غير الخانجى هذا قد سبقوا إلى التصنيف باللغة العربية، نذكر منهم علاء الدين على دده بن الحاج مصطفى الحنفي السكتواري البسنوي (ت ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م)، وهو من أهل البوسنة، له كتاب «محاضرة الأوائل» الذي نشر فى بيروت سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٧٩م، وكتاب آخر بعنوان «المقام فى المسجد الحرام» وكتاب ثالث عن مكة بعنوان «مناقب مكة». بل إن بعضهم قد صنف فى علوم اللغة العربية نفسها، مثل حسين بن فرهاد الأسكوبي البرزريني

الحنفي (ت ١١٢٢هـ/ ١٨٠٧م) وهو من أهل سكوبيا، وكان من علماء الصرف وله كتاب بعنوان «العناية فى شرح الكفاية» للبركوي وهو فى علم الصرف(٣٢).

وعلى أية حال فإن التراث العلمي الذي تراكم عبر السنين مالبث أن تعرض خلال الحرب العثمانية ـ النمساوية (١٠٩٥ ـ ١١٠٢هـ/ ١٦٨٣ ـ ١٦٩٠م) إلى نكبة مفجعة، حيث دمر الجيش النمساوي كل ماله علاقة بالإسلام وبالثقافة الإسلامية، ومنها إحراق مدينة سكوبيا وغيرها من المدن، فدمرت الجوامع والمدارس بما فيها من مكتبات ومخطوطات، بل شمل التدمير تصفية جسدية للمسلمين، ولكن المسلمين بادروا إلى استعادة مجدهم وأعادوا إلى اللغة العربية مكانتها، خصوصاً بعد أن عاد إلى يوغوسلافيا أعداد كبيرة من أبنائها الذين تخرجوا فى مدارس دمشق والقاهرة وبغداد، عادوا وهم يحملوا الكثير من المخطوطات العربية. وتعتبر الفترة الواقعة بين أواخر القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادي، والثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى، من أخصب الفترات فى تكوين التراث العربي ونموه فى تلك المناطق(٣٣).

انكماش الحكم العثمانى فى يوغوسلافيا وماترتب عليه من آثار:

إن الوضع المزدهر الذي أشرنا إليه آنفاً لم يستمر طويلاً، إذ بدأت قوة الدولة العثمانية منذ منتصف القرن الثالث عشر

الهجرى/ التاسع عشر الميلادي بالتقلص أمام الغزوات الصليبية المتكررة التي أنهكت قواها وأدت إلى خروج أقاليم البلقان واحداً بعد الآخر من الحكم العثماني. وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى تلاشي المنشآت الثقافية الإلامية، خصوصاً بعد انحسار الحكم العثماني عن بعض المناطق بنتيجة الحرب الروسية ـ العثمانية فى سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م. وكذلك إبان خضوع البوسنة للحكم النمساوي فى عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الأمر الذى قاسى منه المسلمون الأمرّين، وعلى الأخص بعدما قامت إمارة صربيا المستقلة بتصفية الوجود الإسلامي فى الجنوب، مما أدى إلى هجرة نصف مليون مسلم سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، وقد أدى ذلك بدوره إلى القضاء على آثار الثقافة الإسلامية فى كثير من المناطق الخاضعة لصربيا، فمدينة (نيش) مثلاً كان فيها عشرات الجوامع والتكايا وعشرون مدرسة ابتدائية، لكن ذلك كله قد اختفى عقب احتلالها من قبل جيش صربيا(٣٤). أما الذي سلم من حروب القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى، فقد قضت عليه حرب البلقان التى اندلعت فى سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م ضد الدولة العثمانية، لأن جيوش التحالف البلقاني دخلت الحرب بروح صليبية، وارتكبت المجازر ضد المسلمين، فضلاً عن محاولات التنصير، إذ عمل النمساويون وملوك صربيا على اضطهاد المسلمين، ومحاولة تغيير الطابع الإسلامي للأقاليم التى يقطنها المسلمون. وتشجيع النصارى على الاستيطان فيها. ولكن المسلمين لم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام

تلك الاعتداءات، وعملوا جهدهم على إبقاء شخصيتهم المتميزة إلا أنهم لم يوفقوا في الحصول على تنظيم سياسي يضمن لهم استقلالهم إلا في جمهورية بوسنة حيث أسس فيها الحزب الإسلامي عام ١٩١٩م بزعامة الدكتور محمد مباهو الذي ترأس عدة حكومات بوسنوية بين الحربين. خصوصاً وأن العالم الإسلامي كان آنذاك مشغولاً عنهم بمشاكله الكثيرة. غير أن المسلمين ــ على الرغم من ذلك ــ تمكنوا من الاحتفاظ بدينهم واستمروا ــ رغم فقرهم ــ في بناء المساجد والإبقاء على قدر يسير من التعليم الإسلامي.

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فأتت على ماتبقى من المؤسسات الإسلامية، لاسيما وأن السلطات النصرانية اتبعت سياسة الضغط على المسلمين لتهجيرهم خارقة بذلك معاهدة الصلح التي عقدت بعد حرب البلقان، بين الدولة العثمانية وصربيا في سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م وهي تضمن حقوق المسلمين وتحميها، كما خرقت معاهدة فرساي. فبعد أن كان جنوب يوغوسلافيا وحده يضم أكثر من (١٠٠) مدرسة عليا تقوم الدراسة فيها أساساً على اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وكانت كل واحدة منها (كما أسلفنا) تضم مكتبة غنية بالكتب المخطوطة، تقلص هذا العدد في بداية العهد الملكي اليوغوسلافي، نتيجة لسياسة التجهيل التي مارستها الدولة ضد المسلمين، فضلاً عن سياسة التهجير، إذ هاجر بين ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م و١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ربع مليون مسلم ألباني إلى تركيا وسوريا، بينهم الكثير من العلماء والمثقفين. ولكن الحرب العالمية الثانية بعثت أملاً جديداً في نفوس المسلمين، غير أن

النظام الجديد أغلق ماتبقى من المدارس الإسلامية القليلة فى الجنوب ، وأبقى على مدرسة واحدة فى مدينة (بريشتينا) وهى لاتزال تعمل منذ عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م(٣٥).

وعلى الرغم من كل الظروف السيئة ، فقد بقي فى جنوب يوغوسلافيا آلاف من المخطوطات العربية ، ولكن الاهتمام بها قد تأخر، إلا أنه مع تأسيس مركز للاستشراق فى سراييفو عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م عاد الاهتمام بالمخطوطات ، وكان لبعض الأفراد جهد مشكور فى هذا الشأن، مثل الأستاذ حسن كلشي المتوفى سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. كما تولى باحث مسلم آخر الاهتمام بمخطوطات مقدونيا هو فتحي مهدي(٣٦). وعلاوة على المخطوطات الموجودة فى المكتبات العامة ، فهناك أعداد كبيرة منها لاتزال فى البيوت الخاصة، وأعداد أخرى فى تكايا الطرق الصوفية(٣٧). وهناك محاولات جادة لإنقاذ المخطوطات من التلف والضياع يقوم بها الأستاذ بدري هيسا مدير المكتبة الإقليمية فى جنوب يوغوسلافيا(٣٨).

ولنعد الآن قليلاً إلى الحرب العالمية الثانية التى قاسى المسلمون خلالها الشيء الكثير، ولا سيا سكان البوسنة والهرسك بنتيجة الصراع الذي قام بين إقليمي صربيا وكرواتيا ، ووقوع البوسنة بينهما ، الأمر الذى دفع المسلمون ثمنه غالياً من دمائهم . وزاد فى الطين بلة ظهور الشيوعية فى البلاد التي استطاعت فى النهاية أن تسيطر على يوغوسلافيا كلها . وقد حاول الشيوعيون فى بادئ الأمر

عدم المساس بالمشاعر الدينية لمسلمي البوسنة والهرسك خصوصاً وأن الثورة اليوغوسلافية قد ترعرعت فى جبال هذا الإقليم، وساهم المسلمون فيها وبذلوا دماءهم لتحرير البلاد من الاحتلال النازى، ولكنهم مع ذلك فقدوا الكثير من القليل الذى كان لهم قبل الحرب العالمية الثانية، لا سيما بعد أن أممت الدولة الممتلكات الخاصة ومنها الأوقاف، وبذلك حُرمت المساجد من الموارد اللازمة لصيانتها وتسيير شؤونها. كما أغلقت المدارس القرآنية والكتاتيب التى قاربت الألف فى عددها. كذلك كان لهم (١٤) مدرسة ثانوية إسلامية، إحداها للبنات، وفقدوا أيضاً أكبر مؤسساتهم التعليمية، وهى مدرسة الغازى خسروبك آنفة الذكر، وقد كانت تقوم بتدريس العلوم الدينية وبتخريج الأئمة والخطباء ومعلمي الدين وإعداد الطلبة لدخول «الأكاديمية الإسلامية» التي أنشأت فى عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، لتقوم مقام «مدرسة القضاء الشرعي» التى سبق تأسيسها فى عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م. وكان للمسلمين أيضاً محاكم شرعية تختص بالأحوال الشخصية للمسلمين، وقد أسست مثل هذه المحاكم فى كل مركز سكاني يبلغ عدد المسلمين فيه خمسة آلاف نسمة فأكثر. وفضلاً عن ذلك كان هناك رئاسة دينية عليا يتبعها مجلسان للعلماء؛ أحدهما فى مدينة سراييفو عاصمة البوسنة، والآخرى فى سكوبيا عاصمة مقدونيا، يتوليان الإشراف على النواحي الدينية والثقافية وإدارة الأوقاف. وكان للمسلمين أربع مجلات وثلاث صحف أسبوعية.

أما فى ظل الحكم الشيوعي الذي ينص دستوره على حماية الحريات الدينية، وضمان حقوق الأقليات، فإن الكتاتيب أغلقت ــ كما أسلفنا ــ وكذلك المدارس الثانوية الدينية، ماعدا مدرسة الغازى خسروبك التى أشرنا إلى غلقها، فقد أعيد فتحها فى عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م. كذلك تم إلغاء المحاكم الشرعية فى سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م، وألغيت المجلات والصحف ماعدا مجلة واحدة. وأممت الأوقاف، كما بينا آنفاً، لكن الأحوال مالبثت أن تحسنت بعد أن أدركت الحكومة اليوغوسلافية أهمية العالم الإسلامي، وضرورة إقامة علاقات طيبة بينها وبين الدول الإسلامية، خصوصاً بعد تأسيس حركة عدم الانحياز، فسمحت الحكومة بإعادة ترميم عدد غير قليل من المساجد، بل وشاركت فى الإنفاق على ترميمها باعتبار أنها مبان تاريخية ذات قيمة كبيرة. كذلك سمحت بافتتاح الكتاتيب فى أيام العطلة الأسبوعية داخل المساجد لتعليم القرآن الكريم ومبادىء الدين واللغة العربية. كذلك أعيد فتح بعض المدارس الثانوية الدينية كمدرسة (بريشتينا) عاصمة إقليم قوصوه (كوسوفو). ورخصت الدولة للمسلمين بإنشاء مساجد جديدة من التبرعات التى يجمعونها. وقد بلغ عدد المساجد التى أنشئت فى سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م (وهى آخر سنة أقمتُ فيها فى يوغوسلافيا) حوالي ٣٥ مسجداً. ويقدّر بعض الباحثين عدد المساجد الموجودة حالياً فى يوغوسلافيا بثلاثة آلاف مسجد[٣٩].

هذا وقد سمحت الحكومة اليوغوسلافية لعدد من الطلبة المسلمين بمواصلة الدراسة العالية فى المعاهد والجامعات الإسلامية فى

مختلف أنحاء العالم الإسلامى. غير أن أهم انجاز حققه المسلمون ــ بعد جهود طويلة مضنية ــ هو إنشاء كلية للدراسات الإسلامية التى ساهمت بعض الدولة الإسلامية فى إنشائها، ومنها المملكة العربية السعودية التي قدمت عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م مبلغ ربع مليون دولار، قام بتقديمها الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي الذي مثل المملكة فى حفل افتتاح تلك الكلية بمدينة سراييفو فى صيف عام ١٩٧٤م ــ ١٣٩٤/٨/٢٦هـ(٤٠)، وبذلك تكون تلك الكلية أول معهد عال إسلامي فى القارة الأوربية كلها. لاشك أن هذه الكلية يقع على عاتقها مهام جسام لبعث الإسلام من جديد فى هذا الجزء المهم من العالم، وتعزيز الروح الإسلامية بين مسلمي يوغوسلافيا وشدهم إلى إخوانهم فى بقية أنحاء العالم، وكذلك بث الثقافة الإسلامية ونشر علوم الإسلام بعد أن كادت تزول، وهى بلاشك مهمة شاقة يجب على المسلمين كافة دعمها مادياً ومعنوياً.

الوضع الراهن لمسلمي يوغوسلافيا:

مما تقدم يمكننا القول: إن وضع المسلمين فى يوغوسلافيا فى الوقت الحاضر، ليبدو على مايرام، خصوصاً إذا ماقسناه بوضع إخوانهم فى الأقطار المجاورة مثل بلغاريا، حيث يقيم مايزيد على مليون ونصف المليون مسلم من أصل تسعة ملايين من سكانها، وهم يقاسون أشد أنواع المتاعب من الحكومة البلغارية التى تتفنن فى مضايقتهم وحرمانهم من ممارسة الشعائر الدينية، الأمر الذى حمل

الكثير منهم على الهجرة إلى تركيا. وقد شهدت السنوات الأخيرة (ولاسيا عام ١٩٨٩م/ ١٤١٠هـ) ألواناً جديدة من الاضطهاد نزلت بمسلمي بلغاريا، ومنها إجبارهم على التخلي عن أسمائهم الإسلامية واتخاذ أسماء سلافية بدلاً منها، ومنعهم من ختان أولادهم، ومصادرة ممتلكاتهم مما أجبر حوالي نصف مليون منهم على الهجرة إلى تركيا خلال العام المذكور وحده. ولكن التطورات الأخيرة التى حدثت فى العالم الشيوعي فى أواخر سنة ١٤١٠هـ/ أواسط سنة ١٩٩٠م والتى أدت إلى ضرب زعماء الشيوعية فى بلغاريا أسفرت عن شيء من الانفراج فى أحوال المسلمين.

أما فى اليونان، حيث لا يقل عدد المسلمين عن نصف مليون نسمة، فهم يعانون الشدائد فى ظل الحكومة اليونانية بشكل لا يختلف عما يقاسيه المسلمون فى بلغاريا، على الرغم مما تزعمه حكومة اليونان من صداقة للبلاد العربية والإسلامية. ثم إن الكنيسة اليونانية الأورثوذوكسية تطارد هؤلاء المسلمين وتحاول تنصيرهم. وإن أنسى لا أنسى ما قرأته فى إحدى الصحف الأجنبية فى أواسط سني الستينيات من هذا القرن الميلادي (الثمانينيات من القرن الرابع عشر الهجرى) عن فرحة اليونانيين بتحول آخر عائلة مسلمة فى قرية يونانية تقع بالقرب من الحدود اليوغوسلافية إلى النصرانية!! وقد شهد العام الماضي (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) فى اليونان اعتداءً صريحاً على حقوق الإنسان عندما سيق إلى المحكمة اثنان من زعماء المسلمين فى اليونان لأنهما أظهرا اعتزازهما بهويتهما الإسلامية والتسمّي بأسماء اسلامية، وكان رد مسلمي اليونان على

ذلك أن انتخبوا هذين الزعيمين نائبين فى البرلمان اليوناني. وتشهد هذه الأيام (ربيع الأول ١٤١٢هـ/ أيلول ــ سبتمبر ١٩٩١م) أزمة كبيرة إذ تدخلت الحكومة اليونانية فى انتخاب مفتي المسلمين فى منطقة (تراقيا) الغربية، ومنعت المفتى المنتخب من ممارسة أعماله، مما أثار غضب المسلمين وأدى إلى سلسلة من الاضرابات والمظاهرات فى تلك المنطقة، وفى تركيا أيضاً.

أما فى رومانيا، فالمسلمون قلة، وقد هاجر أغلبهم إلى تركيا أيضاً، ولكن الحكم الشيوعي فيها كان يحاول الظهور بمظهر التسامح فيسمح لعدد محدود من المسلمين بأداء فريضة الحج، بل سمح لهم بإقامة مؤسسة دينية ترعى شؤونهم. وقد ورد فى الأخبار (فى أوائل عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) خبر عن قيام مفتي رومانيا بزيارة بعض الأقطار الإسلامية. ولكن وضع المسلمين هنا لا يمكن أن يقاس بحال من الأحوال بوضع مسلمي يوغوسلافيا الذين يتمتعون بمزايا كثيرة. ومع ذلك فإن مسلمي رومانيا أحسن حالاً من وضع المسلمين فى بلد إسلامي، هو ألبانيا التى كانت أول دولة فى العالم تعلن رسمياً أنها دولة «ملحدة»، وقد أغلقت فيها جميع المساجد والكنائس، ومنع الناس من ممارسة الشعائر الدينية، منذ تولى الشيوعيون فيها السلطة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية(٤١). والطريف أن ألبانيا لم تكن راضية عن الشيوعية المطبقة فى الدول الشيوعية الأخرى سواء أكانت فى الاتحاد السوفياتى أم فى الصين. أم غيرهما، وتعتبر الشيوعية المطبقة فى تلك البلدان شيوعية مزيفة!! ولكن بموت زعيم ألبانيا المدعو «أنور خوجة» ظهرت بوادر تدعو إلى

التفاؤل، إذ سمح الزعماء الجدد بشيء من الحرية الدينية والانفتاح على العالم الخارجي، خاصة بعد أن اجتاحت موجة التحرر دول أوربا الشرقية كلها بما فى ذلك الاتحاد السوفياتى، ولكن الدمار الذى شهدته المساجد وغيرها من المؤسسات الإسلامية ليس بالوسع اصلاحه إلا بمساعدة كبيرة من العالم الإسلامى.

ولنعد الآن إلى يوغوسلافيا، فالملاحظ أن وضع مسلمي يوغوسلافيا قد اتسم ــ منذ وفاة تيتو ــ بالتذبذب، مما سنعرض له فيما بعد، إن شاء الله. والمهم أنهم منظمون أحسن تنظيم فى ظل إدارة مركزية مستقلة إدارياً مقرها فى مدينة «سراييفو» يتولاها مجلس أعلى برئاسة «رئيس العلماء» وهو المفتي الأكبر الذى يشرف على الشؤون الدينية لمسلمي يوغوسلافيا حتى صاروا أعظم جماعة إسلامية منظمة فى أوربا(٤٢). ومن أبرز مهام هذا الجهاز العناية بالمساجد وادارة المدارس الإسلامية وعلى رأسها كلية الدراسات الإسلامية التى أشرنا إليها، وهناك عدد من المدارس الثانوية الدينية الموجودة فى بعض المدن المهمة مثل سراييفو وبريشتينا وسكوبيا، بل هناك الآن ثانوية دينية أيضاً مخصصة للبنات. وتخرج هذه الثانويات الأئمة والخطباء، ومن بين خريجيها يرسل المبعوثون للدراسات العليا فى الخارج. ويوجد فى الوقت الحاضر أعداد كبيرة منهم فى جامعات البلاد العربية، ومنها جامعات المملكة العربية السعودية. وقد تمكن كاتب هذه السطور بتوفيق من الله أثناء وجوده فى يوغوسلافيا بين عامى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ــ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م من إيفاد حوالي ثلاثين طالباً

للدراسة فى كلية الشريعة ببغداد، وبضمنهم سبع فتيات، فكان ذلك فتحاً جديداً فى تاريخ المرأة المسلمة فى يوغوسلافيا، وهو أمر يثلج الصدر.

والشيء المهم ــ فى نظري ــ أن مسلمي يوغوسلافيا لا يشعرون بعقدة الأقلية التى يشعر بها أمثالهم من الأقليات الدينية التى اعتادت أن تعيش فى أحياء مغلقة مثل «الفيتو GHETTO» اليهودي فى أوربا، فهم على العكس من ذلك يشاركون مشاركة فعالة فى مختلف نواحي الحياة فى بلادهم، سواء فى النواحي السياسية أم الاقتصادية أم العلمية. وقد بلغ واحد منهم أعلى الدرجات فى عهد تيتو إذ تسنم منصب رئاسة الوزراء فى الحكومة الاتحادية، وهو المنصب الثانى فى البلاد بعد منصب رئيس الجمهورية الاتحادية الذى كان يشغله الماريشال «تيتو» وكان اسم رئيس الوزراء هو «جمال بيديج». وعقب وفاة «تيتو» بلغ «رائف دزداريفيج» منصب وزير الخارجية، وشغل منصب رئاسة الجمهورية وفقاً لمبدأ التناوب، بصفته ممثلاً لإقليم البوسنة ومثله سنان حساني (الذى سيأتى ذكره) بصفته ممثلاً لإقليم قوصوه وإلى جانب ذلك فإن الحرية الدينية مكفولة لمسلمي يوغوسلافيا، ومسموح لهم بأداء فريضة الحج وإقامة علاقات ودية مع إخوانهم فى مختلف أنحاء العالم الإسلامي، بل إن الطرق الصوفية الممنوعة فى عدد من البلاد الإسلامية (ومنها تركيا) مسموح لها بممارسة نشاطها فى يوغوسلافيا، ولا تزال هناك تكية صوفية معروفة فى منطقة «الهرسك» تمارس مثل هذا النشاط. وقد تعاقبت على هذه

التكية مختلف الطرق كالبكتاشية والخلوتية والقادرية، وقد استقرت تلك التكية الآن فى أيدي أتباع الطريقة النقشبندية !!

مشكلة إقليم قوصوه «كوسوفو»:

أما الوضع المتذبذب الذى أشرت إليه فى موضع آخر، فيمكن تلخيصه بأن الرعاية الخاصة التي كان الرئيس «تيتو» يسبغها على مسلمي يوغوسلافيا قد انتهت، وصار على المسلمين أن يبذلوا جهداً أكبر من أجل المحافظة على حقوقهم وتحسين أحوالهم، ولا سيا سكان الأقاليم المتأخرة مثل اقليم قوصوه (كوسوفو) الذى تقطنه أغلبية ألبانية تشكو الغبن والإهمال، خصوصاً وأنها رغم تجاوز عددها المليونين من النفوس (وهناك من يرفع العدد إلى مليونين ونصف المليون) لا تحظى بحقها فى تأسيس جمهورية فيدرالية قائمة بذاتها أسوة بالجمهوريات الست الأخرى، إذ أعتبر هذا الإقليم منطقة تتمتع بالحكم الذاتى تابعة لجمهورية صربيا، الأمر الذي أدى إلى كثير من الأزمات التى صاحبتها موجات من العنف الجماعي والفردي الذي يظهر بين حين وآخر. ولقد نشرت جريدة «الشرق الأوسط»(٤٣) فى بعض أعدادها خبراً يفيد أن اثنين من أعضاء منظمة سرية أقدما على الانتحار فى مدينة (بريشتينا) عاصمة إقليم كوسوفو اليوغوسلافية، لكيلا يقعا فى أيدي الشرطة التى كانت تريد القبض عليهما. وقالت وكالة الأنباء اليوغوسلافية (تانيوغ) أن رجب ماليه (٣٣سنة) ونوح بريشه (٢٣سنة) أقاما فى ١٢/١/١٩٨٤ (١٤٠٤هـ) متاريس فى أحد المنازل، حيث

أطلقا من خلفها النار على رجال الشرطة، وبعد أن أدركا أن مقاومتها غير مجدية لاذا بالفرار. ومن ثم قاما بإطلاق النار على رأسيها، فسقطا قتيلين على الفور.. أ.هـ.

ومن هذا القبيل ما نشرته مجلة الدعوة الصادرة فى الرياض(٤٤) فى بعض أعدادها أخباراً عن المحاكمات التى جرت لبعض المسلمين، وبينهم بعض الأئمة، واتهامهم بمحاولة قلب نظام الحكم، ونوهت بالاضطهاد الذى يتعرض له مسلمو يوغوسلافيا، والعقبات التى توضع فى طريقهم لمنعهم من ممارسة الشعائر الإسلامية، وتعرض البعض منهم للسجن وحتى للإعدام أحياناً. وهذه الأخبار كذّبها الدكتور أحمد اسماعيلوفيتش رئيس المشيخة الإسلامية فى جمهورية البوسنة والهرسك الذى حضر جلسات مؤتمر توجيه الدعوة والدعاة الذى عقد فى المدينة المنورة، لقد كذب تلك الأخبار فى لقائه مع مندوب مجلة اليمامة(٤٥) أكد فيه أن المسلمين فى يوغوسلافيا يتمتعون بالحرية الدينية، وضرب مثلاً على ذلك أنهم نشروا مؤخراً كتاباً فى سيرة النبي (ص) تم توزيعه بدون أية معارضة. وذكر أنه قام شخصياً بعد حضور المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة والدعاة بتأليف كتاب للتعريف بالمؤتمر وبحوثه، وقد وزع هذا الكتاب أيضاً فى يوغوسلافيا بدون عائق، علاوة على طباعة القرآن الكريم بالحروف العربية، الذى وزعت منه خمسون ألف نسخة لمن يستطيع قراءته بتلك الحروف، وأوضح بأن لمسلمي يوغوسلافيا برنامجاً لنشر ٣٥ كتاباً عن الإسلام والحضارة الإسلامية لتوزع خلال سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م وحدها.

إن الحادث الذى نقلنا خبره آنفاً، أي انتحار الشابين الألبانيين، يمثل اليأس القاتل الذى تسرب إلى نفوس بعض المسلمين فى يوغوسلافيا، ولا سيا الألبان منهم الذين يطمحون ـ كما أسلفنا ـ إلى إقامة جمهورية خاصة بهم تقف على قدم المساواة مع بقية الجمهوريات التى تتألف منها دولة يوغوسلافيا الاتحادية، ولكن هناك احتمالاً أيضاً أن ماوقع قد يكون دافعه التحريض الوارد من ألبانيا المجاورة التي اتسمت علاقاتها مع يوغوسلافيا بالعداء السافر منذ انتهجت يوغوسلافيا سياسة مستقلة عن الكتلة الشيوعية أيام ستالين.

وهنا أرى من الضروري أن ألقي نظرة عاجلة على خلفية الصراع الدائر فى إقليم قوصوه بين المسلمين من سكان الإقليم وجمهورية صربيا(٤٦). إن إقليم قوصوه يتمتع بأهمية خاصة، إذ تبلغ مساحته حوالى (١١) ألف كيلو متر مربع تعادل ١١٪ من مساحة يوغوسلافيا كلها، ويبلغ عدد سكانه حوالي مليونين ونصف المليون تبلغ نسبة المسلمين منهم ٩٠٪ والباقون من نصارى صربيا. والأغلبية الساحقة من هؤلاء المسلمين هم من الألبان. وترجع أهمية هذا الإقليم إلى غناه بمصادر المياه لكثرة الأنهار الجارية فيه مما جعله من مصادر الطاقة الكهربائية المهمة. كما أن فيه مايعادل نصف مخزون يوغوسلافيا من خامات الزنك والرصاص، وتنتج سهوله الواسعة الكثير من المواد الغذائية ولا سيا الفواكه. ومع ذلك فإنه أكثر الأقاليم اليوغوسلافية فقراً وأشدها بطالة، إذ تبلغ نسبة البطالة بين أبنائه القادرين على العمل حوالى ٤٠٪، وتحاول

بعض الجهات اليوغوسلافية أن تلقي جريرة ذلك على الألبان لتمسكهم بتقاليدهم ، بل وعلى تمسكهم بالقيم الإسلامية ، فى حين أن أسباب التخلف تعود إلى السياسة التى كان يتبعها نائب رئيس جمهورية يوغوسلافيا «الكسندر رانكوفيج» (الذى شغل أيضاً منصب وزير الداخلية ومدير الاستخبارات)، وهى سياسة عنصرية متعصبة ضد شعوب يوغوسلافيا الأخرى (غير شعب صربيا)، ولا سيما ضد مسلمي قوصوه بالذات. وقد اضطر تيتو فى عام ١٩٦٦م (١٣٨٦هـ) إلى عزله وتجريده من جميع سلطاته بعد أن انفضحت سياسته. وقد قاسى أهل قوصوه من تلك السياسة الظالمة الشيء الكثير، هذا علاوة على عدم قيام الحكومة الاتحادية بأي استثمارات أساسية فى الإقليم ، مما اضطر العمال الألبان على الهجرة منه وممارسة مهن هامشية كحمالين وعمال بناء غير ماهرين وما أشبه .

وعلى أية حال فإن العداوة القائمة بين شعب صربيا ومسلمي قوصوه تعود إلى عام ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م، يوم اجتاح العثمانيون بقيادة السلطان مراد الأول جيوش صربيا وحلفائها ، فى قوصوه نفسها ، ولم ينس الصربيون تلك الهزيمة وخلدوها فى أشعارهم وأدبهم الشعبي، وظلوا يتحينون الفرص لإخضاع الإقليم لحكمهم حتى تسنى لهم ذلك بانسحاب العثمانيين منه فى عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م، عقب حرب البلقان وعندها ضموه إلى مملكة صربيا. وقد شارك ألبان قوصوه فى الثورة التي شنها اليوغوسلاف ضد الألمان بقيادة تيتو خلال الحرب العالمية الثانية، إذ كان لهم فى الميدان

(٥٠) ألف مقاتل. وقد اعترف تيتو نفسه بشجاعتهم وحسن بلائهم، إلا أنه لم يمنحهم المكانة التى يستحقونها سوى حق التعليم بلغتهم وممارسة شعائرهم الدينية بما لا يتعارض ودستور البلاد. كما ظل يخشاهم ويسيء الظن بهم، وسمح لأهل صربيا بالهجرة إلى قوصوه على أمل أن يشكلوا أغلبية السكان فيه، إلا أن الهجرة لم تستطع تغيير التركيبة السكانية، وظل الألبان يطالبون بمنحهم حق تأسيس جمهورية لهم أسوة بالأقاليم اليوغوسلافية الأخرى، لا سيا وأن هناك أقاليم صغيرة تقل نفوساً عن قوصوه مثل سلوفينيا والجبل الأسود اللذين لكل منهما جمهورية فيدرالية تقف على قدم المساواة مع الجمهوريات الأخرى مثل صربيا وكرواتيا ومقدونيا والبوسنة.

وقد اشتدت المطالبة فى عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، وتظاهر السكان وتعطلت مرافق الحياة، وعجزت الشرطة عن معالجة الموقف فتدخل جيش الحكومة الفيدرالية الذى يقوده ضباط من صربيا، وبلغ عدد القوات المرسلة إلى قوصوه (٥٠) ألف جندي، مما أدى إلى مقتل حوالي (٢٠٠٠) مسلم ألباني، وكان ذلك بمثابة ثأر صربيا لمعركة قوصوه قبل ستة قرون!! وتبع ذلك أن ساقت الحكومة أعداداً كبيرة من الألبان لمحاكمتهم، لكن القضاة الألبان رفضوا ذلك، فاستقدمت الحكومة قضاة من صربيا والجبل الأسود، وشملت المحاكمات عدداً من الفتيات الصغيرات لا تتجاوز أعمارهن العشر سنوات، وصدر الحكم ضد البعض منهن بالسجن لمدة ثمانى سنوات، مما أثار موجة من الانتقاد حتى فى صفوف الشيوعيين من أهل جمهورية سلوفينيا!!

وعلاوة على ما تقدم، فإن الحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذى يسمي نفسه «رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف» عقد جلسة فى أوائل عام ١٤٠٨هـ/ أواخر عام ١٩٨٨م، رفض فيها مطالب أهل قوصوه فى الحصول على جمهورية خاصة بهم، وأكد تبعية الإقليم لجمهورية صربيا. كما قرر عقوبات شديدة ضد رجال الحكم المحلي فى قوصوه، وضد أعضاء فرع الحزب الشيوعي فى الإقليم. ولكن ذلك كله لم ينل من عزيمة مسلمي قوصوه فى الكفاح من أجل حقوقهم المشروعة التى لا تعدو كونها مطالبة بالحرية والعدل والمساواة للمسلمين بغيرهم من فئات سكان يوغوسلافيا!!

وقد كان لأحداث قوصوه صداها منذ البداية فى الصحافة العربية والأجنبية، ومنها مجلة «المجلة» التى اهتمت بالموضوع فى تاريخ مبكر فنشرت مقالاً فى عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م(٤٧) تحدثت فيه عن مسلمي يوغوسلافيا وتنبأت بحدوث ثورة لهم، إذ وصفت الوضع بأنه «الثورة تحت الرماد» كما أن مجلة (نيوزويك) الأميركية نشرت مقالاً بتاريخ ١٩٨٧/١/٢١م تناولت فيه الأحداث، ووصفت النزاع الألباني ــ الصربي أنه تهديد لكيان يوغوسلافيا. وكانت مجلة (تايم) الأميركية أكثر اهتماماً بالموضوع فقد نشرت أخباراً ومقالات عديدة حول أحداث قوصوه(٤٨)، وفى هذه المقالات سمّت المجلة النزاع «حرباً أهلية» تتعرض لها يوغوسلافيا. هذا وقد نشرت إحدى المجلات العالمية الرزينة، وهى المجلة الجغرافية الأميركية المسماة National Geographic فى

العدد الثانى من المجلد ١٧٨ الصادر فى آب / أغسطس ١٩٩٠م مقالاً بعنوان Yugoslavia A House Much Divided بقلم C.D. Anforth تعرض لموضوع إقليم قوصوه رأيت من تمام الفائدة أن آتي بملخصه ملحقاً بهذا البحث لما تضمنه من معلومات مفيدة ذات علاقة بموضوعنا، وهى معلومات ينبغى للقارئ العربي أن يعرفها لأنها ترسم الخلفية الحقيقية للأوضاع التي يمر بها المسلمون فى يوغوسلافيا، لا سيما وأن المجلة التى نشرتها تتمتع بسمعة علمية رفيعة فى مختلف أنحاء العالم. وقد اشتهرت المجلة بالتحقيقات التى قامت بها وفازت باحترام الباحث لما اتصفت به من الدقة والموضوعية والحياد. ولهذا السبب فتحت لها دول العالم المجال لكي يتجول مراسلوها و باحثوها فى بلاد تلك الدول، ومنها الدول الشيوعية.

ولنعد الآن إلى يوغوسلافيا بعد رحيل تيتو، وهنا رأيت إتماماً للفائدة أن أشير إلى نظام الحكم المعمول به فى يوغوسلافيا منذ وفاة تيتو فى عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، إذ صارت الرئاسة جماعية يتناوب عليها رؤساء الجمهوريات اليوغوسلافية الست ورئيسا الإقليمين المتمتعين بالحكم الذاتى (قوصوه وفويفودينا). وبناء على هذا الترتيب الجديد تولى الرئاسة فى عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م السيد سنان حساني ممثل إقليم قوصوه، وقد بعث هذا الحدث الفريد الآمال فى نفوس مواطنيه الألبان، وعزز مطالبتهم فى الحصول على جمهورية لهم، ولكن شيئاً من ذلك لم يتحقق. والجدير بالذكر أن سنان حساني هذا يعد من الشعراء الألبان المرموقين الذين يحظون بالاهتمام، حتى إن إحدى رواياته المسماة «الرياح والبلوط»

ترجمت إلى العربية. وكان قد كلف فى عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م بزيارة بعض البلاد العربية ممثلاً للحكومة اليوغوسلافية الجديدة آنذاك. وتناولت تلك الرحلة جريدة «القبس» الكويتية فى بعض أعدادها(٤٩). كما نشرت مجلة «العربي» الكويتية مقالاً عنه وعن بعض رواياته(٥٠).

موقف العالم الإسلامي من مسلمى يوغوسلافيا:

والآن بعد أن شرحنا أوضاع المسلمين فى يوغوسلافيا فى مختلف العصور، ولاسيما فى السنوات الأخيرة، آن لنا أن نلقي نظرة على موقف العالم الإسلامى منهم. فى الحقيقة إن السلطات الرسمية اليوغوسلافية كانت تحاول دائماً أن تظهر أمام العالم الخارجى بمظهر المتعاطف مع المسلمين، وقد لاحظت مجلة Arabia الصادرة باللغة الانكليزية فى لندن(٥١) فى أواخر عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، أن الإذاعة اليوغوسلافية والصحف الرسمية لايكاد يمر يوم عليها إلا وتقدم شخصاً ما يحمل اسماً إسلامياً ليثني على سياسة الحكومة المساندة للمسلمين. وضربت على ذلك مثلاً باللقاء الصحفي الذي نشرته مجلة «نين Nin» الأسبوعية مع الدكتور أحمد اسماعيلوفيتش (وقد مر ذكره) الأستاذ فى كلية الدراسات الإسلامية فى سراييفو ورئيس المشيخة الإسلامية (آنذاك) فى جمهوريتي البوسنة والهرسك وكرواتيا. وقد قال الدكتور أحمد فى ذلك اللقاء إن تأثير التطرف الديني بين مسلمي بلاده لا وجود له، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فقال: إن مسلمي يوغوسلافيا يعيشون

فى ظروف تفضل كثيراً الظروف السائدة فى كثير من الأقطار الإسلامية !! وأعلن بأن (٧٠٠) مسجد قد تم بناؤها فى يوغوسلافيا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبذلك ارتفع عدد المساجد فى البلاد إلى (٣٠٠٠) مسجد، ومنها الجامع الضخم الذى شُيّد مؤخراً فى زغرب عاصمة كرواتيا، فضلاً، عن المدارس الثانوية الدينية الرائعة التى بنيت فى سراييفو وبريشتينا.

هذا وقد رفض الدكتور أحمد قول القائلين بعدم إمكان التعايش بين الإسلام والمؤسسات السياسية والاجتماعية غير الإسلامية، كما نفى قول القائلين بوجود اتجاهين مختلفين لدى مسلمى يوغوسلافيا ؛ الأول ويمثل الاتجاه الرسمي الموالي للحكومة ويعمل على قيام علاقات طيبة بين الطرفين ما أمكن، والاتجاه الشعبي الذى يقف موقف الناقد للحكومة التى تتهم باتخاذ مواقف معادية للمسلمين. ومهما يكن الحال فإن الدعاية الحكومية اليوغوسلافية ــ والقول لمجلة Arabia ــ قد تلقت دعماً معنوياً فى استانبول عندما حصل مهندس يوغوسلافى على جائزة الأغاخان المخصصة للعمارة الإسلامية. وقد استغلت الحكومة هذه الجائزة للتدليل على موقفها الممالىء للمسلمين فى محاولة لإقناع رعاياها المسلمين من أن العالم الإسلامى يشعر بالارتياح من سياسة يوغوسلافيا تجاه المسلمين، وما تلك الجائزة إلا دليل على ذلك الارتياح !! ومع هذا فإن عدد الحجاج اليوغوسلاف ــ وفقاً لتحقيقات المجلة المذكورة ــ قد انخفض كثيراً عن السابق، فهبط العدد من ٨٠٠ حاج إلى ٥٠٠، وقد تم

اختيار الحجاج بعناية فائقة من قبل السلطات المختصة بعد إجراء تحقيقات دقيقة !! (انتهى كلام المجلة).

أقول: إن الحكومة اليوغوسلافية باتخاذها هذه السياسة التي نوهت بها المجلة، تريد أن تبعد عن نفسها شبهة اضطهاد المسلمين التي تُوجه إلى كثير من الأنظمة الشيوعية، ولتؤكد للعالم الإسلامي أن غياب «تيتو» لم يؤثر على أوضاع المسلمين. ولذا فهي تحاول انتهاز الفرص لاعطاء الدليل على ذلك، فهي مثلاً تسمح لعلماء المسلمين بالمشاركة في المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في مختلف الأقطار الإسلامية، وكان آخرها مؤتمر توجيه الدعوة والدعاة الذي عقد في المدينة المنورة، وقد حضره الدكتور أحمد اسماعيلوفيتش آنف الذكر. وفضلاً عن ذلك فإن الحكومة اليوغوسلافية تنتهز كل فرصة تتاح لها للتدليل على صداقتها ومودتها للبلاد الإسلامية، فانتهزت مثلاً فرصة زيارة الأمير فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب إلى مدينة سراييفو لحضور الدورة الشتوية للألعاب الأولمبية التي عقدت في جمادى الأولى ١٤٠٤هـ (شباط ١٩٨٤م)، فأحاطته بكل حفاوة وتكريم ورتبت له لقاءات مع عدد من المسؤولين اليوغوسلاف وعلى رأسهم رئيس الدولة والوزراء، وكان في وداعه أحد الوزراء الكبار على الرغم من عدم وجود تمثيل دبلوماسي بين المملكة العربية السعودية و يوغوسلافيا !!

أما ظاهرة تقلص عدد الحجاج من يوغوسلافيا، فيبدو أن هذه الظاهرة لها علاقة بالأوضاع الاقتصادية المتردية التي تسود العالم

بصورة عامة، و يوغوسلافيا بصفة خاصة. فعدد الحجاج اليوغوسلاف كان فى أواسط الستينيات من هذا القرن الميلادي يبلغ فى الغالب ١٥٠٠ حاج، ثم تقلص العدد وفقاً لما ذكرته مجلة Arabia إلى ٨٠٠ ثم صار ٥٠٠ حاج فقط!! فالتفلص الأول مرده الظروف الاقتصادية، وله ما يماثله فى كثير من البلاد الإسلامية، فقد بلغ عدد الحجاج الأتراك قبل بضع سنوات حوالى ١٨٠ الفاً وحجاج العراق حوالى ١٠٠ ألف، ولكن هذه الأعداد تدنت إلى الثلث أو أقل. أما التقلص الثانى فى أعداد الحجاج اليوغوسلاف ـــ الذين صارت الدولة تنتقيهم بعد تحقيق دقيق ـــ فرده الظروف السياسية التى يمر بها العالم الإسلامى وانتشار بعض الدعوات المتطرفة هنا وهناك. و يبدو أن الحكومة اليوغوسلافية تخشى أن يتأثر حجاجها بتلك الدعوات المتطرفة مما قد يتسبب فى خلق قلاقل واضطرابات جديدة فى المناطق الإسلامية من يوغوسلافيا ولا سيما إقليم كوسوفو (قوصوه) الألبانى، حيث وقعت الأحداث التى أشرنا إليها آنفاً، ولذلك عمدت إلى تقليص عدد الحجاج المسموح لهم بالسفر والتدقيق فى اختيارهم.

أما الدعم الإسلامى الذى يلقاه مسلمو يوغوسلافيا فلا يزال محدوداً، ولكن دلالته المعنوية ذات فائدة كبرى، إذ يكفى أن يشعر المسلمون فى يوغوسلافيا بأن لهم إخواناً يقفون إلى جانبهم ويمدونهم بالعون والمساعدة. وقد كان للمملكة أياد طيبة فى هذا الشأن. ففضلاً عن المنحة التى قدمتها لإكمال مبانى كلية الدراسات الإسلامية فى سراييفو، فإنها قدمت منحة سخية لإكمال

جامع زغرب الذى تأخر بناؤه مدة طويلة بسبب قلة المال . كما أن الأمير فيصل بن فهد قد التقى أثناء زيارته المشار إليها آنفاً لسراييفو بأعضاء المجلس الإسلامى فيها ، وتبرع للمجلس مشكوراً بمبلغ ١٠٠ ألف دولار (وفقاً لما ذكرته وسائل الإعلام). ولكن الشيء الذى يسر الخاطر فعلاً هو قيام علاقات رسمية وطيدة بين مسلمي يوغوسلافيا والبنك الإسلامى بجدة ، إذ نشرت جريدة الرياض «المسائية» الصادرة يوم ١٩٨٤/١/١٢م مايفيد بأن اتفاقية للتعاون تم التوقيع عليها فى جدة يقدم البنك الإسلامى بموجبها منحة قدرها مليون دولار أميركى لصالح مسلمي يوغوسلافيا لتكملة بناء معهد علاء الدين الإسلامى ، وتوسعة المعهد الإسلامي للبنات. فى مدينة بريشتينا ، والمساهمة فى بناء مكتبة الغازى خسروبك الإسلامية فى سراييفو، علاوة على تجهيز المعهد الإسلامي بمدينة سكوبيا . وقد وقع الاتفاقية عن البنك رئيسه الدكتور أحمد محمد على ، ووقعها عن الجانب اليوغوسلافى ممثل رئيس العلماء المسلمين فى يوغوسلافيا الدكتور أحمد اسماعيلوفيتش . وتدل هذه المنحة على اهتمام البنك بدعم المجتمعات الإسلامية فى الدول غير الأعضاء فى البنك الإسلامى .

والحق أن مسلمي يوغوسلافيا يستحقون كل دعم ومساندة ، فهم بتنظيماتهم الحالية وعلى رأسها رئيس العلماء ، أي المفتى الأكبر، وبمجلس كبار العلماء الذى يتولى الإشراف على المساجد والمدارس الدينية والبعثات ، هذا الوضع يجعل مسلمي يوغوسلافيا أكبر جماعة اسلامية منظمة فى أوربا ، لذلك فهى أصلح قاعدة

مؤهلة لنشر الدعوة الإسلامية فى أوربا بالنظر لتنظيماتها وموقعها الجغرافى([٥٢]). وحق أيضاً، أن الحكومات العربية ــ وإن كان بعضها مقصراً ــ فإن عدداً منها لم يتردد فى دعم مسلمي يوغوسلافيا، كلما دعت الحاجة، من ذلك مثلاً مبلغ ربع مليون دولار الذي قدمته المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م مساهمة منها فى إنشاء كلية الدراسات الإسلامية فى سراييفو، وقد سلف ذكرها. وقد تبرع لهذا المشروع كل من الكويت بخمسين ألف دولار، وليبيا بعشرين ألف دينار ليبي، والسودان بعشرة آلاف جنيه استرليني([٥٣])، كذلك تبرعت الحكومة السعودية ــ وفقاً لما ذكرته وسائل الاعلام ــ بمبلغ لا أعرف مقداره لإنجاز جامع زغرب الذى أشرنا إليه آنفاً، وقد تعطل بناؤه سنين طويلة([٥٤]). هذا وقد بادرت بعض تلك الحكومات إلى تقديم العون فى مناسبات أخرى، أذكر منها حادث الزلزال الذى ضرب مدينة سكوبيا عاصمة جمهورية مقدونيا فى تموز ١٩٦٣م (١٣٨٣هـ) وتعرضت مساجدها التاريخية للخراب، وعندها بادرت الحكومة العراقية آنذاك بتقديم مبلغ كبير خصص لتعمير تلك المساجد تمّ دفعه إلى المجلس الإسلامى الأعلى فى سراييفو، وذلك علاوة على العون المباشر الذي قدمته حكومة العراق إلى الحكومة اليوغوسلافية. وقد قمتُ شخصياً بتسليم المبلغ المتبرع به إلى المرحوم الحاج سليمان كوره رئيس العلماء حينذاك. كذلك قدمت العراق بعد عامين معونة مادية سخية لمسلمي إحدى المدن التى ضربها الزلزال فى جمهورية الجبل الأسود.

وهناك أيضاً الدعم الذى نوه به الدكتور أحمد اسماعيلوفيتش فى لقائه مع مجلة « اليمامة » الذي أشرنا إليه آنفاً ، حينما أبدى شكر المسلمين اليوغوسلاف للحكومة السعودية على مساعدتها بخصوص بناء (٧٠٠) مسجد وترميم الجامع الكبير. ولكن الدعم الأهم هو ذلك الدعم الثقافي الذى تقدم الجامعات العربية بموجبه منحاً خاصة إلى الطلبة المسلمين من يوغوسلافيا ، وهم الآن ــ بحمد الله ــ منتشرون فى العديد منها . كذلك هناك الكتب التي تقدمها المؤسسات الإسلامية إلى المكتبات والمساجد اليوغوسلافية ، ومنها كميات من الكتب قدمتها الحكومة العراقية فى عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م إلى جامع « بيرق لى » فى بلغراد ، ثم الكتب التي تبرعت بها رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ، إذ قدمت لأحد المساجد هناك خمسة آلاف كتاب(٥٥) .

وعلى أية حال ، فالمسلمون فى يوغوسلافيا فى وضع لا بأس به ، خصوصاً إذا قيس بوضع إخوانهم فى الدول الاشتراكية الأخرى ، ولا يخشى عليهم ، ذلك أن وعيهم بالانتماء الإسلامي يزداد يوماً بعد يوم ، وإنني لا أزال أذكر لقاء لي وقع منذ ٢٤ عاماً مع رئيس العلماء الأسبق الحاج سليمان كوره سالف الذكر، وقد دار الحديث فيه عن مسلمي بلغاريا وما يعانون من أذى واضطهاد ، مما اضطر الكثير منهم على الهجرة إلى تركيا . فعلق على ذلك الحاج سليمان (رحمه الله) بانفعال شديد ، وقال : «إننا هنا فى وطننا ، وليس

هناك قوة قادرة على زحزحتنا عنه أو حرفنا عن ديننا الحنيف ، وإن كل فرد منا مستعد للتضحية بماله ودمه فى سبيل الدين والوطن » .
بهذه الروح يعيش مسلمو يوغوسلافيا اليوم ، إلا أن ما يلقاه سكان قوصوه من عنت واضطهاد من جانب حكومة صربيا وشعبها ، يثير القلق ، خصوصاً وأن برلمان جمهورية صربيا قد أدخل مؤخراً (فى أواسط ربيع الأول ١٤١١هـ/ أوائل تشرين الأول [أكتوبر] ١٩٩٠م) تعديلاً على دستور هذه الجمهورية من شأنه أن يثير القلق فى النفوس ، لأن التعديل قد قلص من سلطات الحكم الذاتي فى إقليم « قوصوه » إلى أقصى الحدود ، وقضى على ما كان لأهلها من حريات ــ وإن كانت محدودة ــ فى إدارة إقليمهم ضمن جمهورية صربيا ، تتعلق باستخدام لغتهم القومية فى بعض درجات التعليم وفى وسائل الإعلام والتقاضي وما إلى ذلك . والهدف من ذلك طمس الشخصية الألبانية لأهل الإقليم وتغليب العنصر الصربي بتشجيع الصرب على الهجرة إلى قوصوه ، ومدهم بأسباب القوة ووسائل الاستيطان . ولذلك فإن من واجب الدول العربية والإسلامية بذل كل جهد ممكن ، سواء باستخدام الوسائل الدبلوماسية أو بالسعي لدى المنظمات الدولية لتمكين هؤلاء الإخوان من العيش فى موطنهم بسلام والتمتع بحقوقهم المشروعة ، وكذلك مدهم بالوسائل التى تعينهم على حفظ شخصيتهم المتميزة ، ولا سيا تجهيزهم بالكتب والصحف والمجلات على اختلاف أنواعها لإبقاء الصلة الروحية حية بيننا وبينهم ، فإنهم ــ كما وصف حالهم أحد كبار علمائهم ــ على

الرغم من وجودهم في بلادهم، «يعيشون في غربة روحية، وإن أي شيء يردهم من إخوانهم المسلمين، مهما كان صغيّراً سيساعدهم على تبديد تلك الغربة ويرفع من روحهم المعنوية للوقوف في وجه الطامعين».

الأستاذ الدكتور سامي الصقار
قسم التاريخ ـ جامعة الملك سعود



١ ــ **محنة الإسلام في يوغوسلافيا**، من مذكرات مؤتمر العالم الإسلامي المعقود في الصومال في سنة ١٩٦٤م، ص ٤.

٢ ــ مجلة «**العربي**» الكويتية، العدد ٢٣٣ لشهر نيسان ١٩٧٨م، ص ٧٨.

٣ ــ كتاب **عصر المأمون** ج ١، ص ٢٩٠.

٤ ــ تقرير عن مؤتمر الدراسات البيزنطية الثالث والعشرين المنعقد في برمنغهام خلال الفترة ١٨ ــ ٢١/٣/١٩٨٩ ــ بحث الدكتور وسام عبدالعزيز الفرج ــ **المجلة العربية للعلوم الإنسانية** العدد ٣٦ خريف ١٩٨٩، ص ٣٢٢.

٥ ــ د. اسماعيل باليتش: الإسلام في المجر. القاهرة ١٩٦٦م. ص ١٥ ــ ١٦.

٦ ــ ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، طبعة أوربا، ج ١ ص ٤٦٩ وما بعدها.

٧ ــ انظر النشرتين الصادرتين باللغة الانكليزية بعنوان: **تكية بلاغاي** Tekija in Blagaj المطبوعتين في مدينة موستار (يوغوسلافيا) ١٩٨٣م.

٨ ــ نياز محمد شكريج: **الفتح العثماني وانتشار الإسلام في البوسنة والهرسك**، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد ١٩٧١م (غير منشورة) ص ١٥٣ ــ ١٦٠.

٩ـ وهذه التسمية يقرها مسلمو يوغوسلافيا (انظر غانم سلطان أمان وزميله: المسلمون فى يوغوسلافيا) الكويت ١٩٧٢، ص ٣٠.

١٠ـ الموسوعة الإسلامية، مادة «صقالبة».

١١ـ ياقوت: المصدر السابق، مادة «صقالبة».

١٢ـ محنة الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص ٨.

١٣ـ د. محمد موفاكو: المخطوطات العربية فى جنوب يوغوسلافيا، مقال فى مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد ٢٦ جزء ٢ ص ٥٤١ تموز ـ كانون الأول ١٩٨٢م.

١٤ـ د. جمال الدين سيد محمد: الأدب اليوغوسلافى، مجلة الفيصل، العدد ١٢٣ ص ٨٨ حاشية ١.

١٥ـ محمد موفاكو: المرجع نفسه، ص ٥٤٢.

١٦ـ نياز شكريج: المرجع نفسه، ص ١٩٩.

١٧ـ المرجع السابق نفسه، ص ٢٠٣.

١٨ـ المرجع السابق نفسه، ص ١٧٥ و١٨١ ـ ١٨٢ و١٨٤ و١٨٦.

١٩ـ محمد موفاكو: المرجع نفسه، ص ٥٤٢.

٢٠ـ المرجع السابق نفسه، ص ٥٤٤.

٢١ـ نياز شكريج: المرجع نفسه، ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

٢٢ـ المرجع السابق نفسه، ص ١٩١.

٢٣ـ المرجع السابق نفسه، ص ١٩٢.

٢٤ـ المرجع السابق نفسه، ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

٢٥ـ المرجع السابق نفسه، ص ٢٨٦.

٢٦ـ نشرة معهد المخطوطات العربية، العدد ٤ لشهر كانون الأول ١٩٨٢م ص ٤، ومجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٢٦، ج ٢ ص ٥٤٢.

٢٧ـ مجلة الفيصل، العدد ٣٥ لشهر صفر ١٤٠٠هـ، ص ١٥٥ حاشية ٧.

٢٨ــ محمد موفاكو: **المرجع السابق نفسه**، ص٥٤٦.

٢٩ــ **الموضع السابق نفسه.**

٣٠ــ **نياز شكريج: المرجع السابق نفسه**، ص ١٦١ حاشية ٢، ومقال د. جمال الدين سيد محمد عن الكلمات العربية فى اللغة الصربية ــ الكرواتية، **مجلة الفيصل**، العدد ٦٠ لشهر جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ/ نيسان ١٩٨٢م.

٣١ــ محمد موفاكو: مقال عن الحاج عمر لطفى، **مجلة العربى** الكويتية، العدد ٢٤٢ لسنة ١٩٧٩م، ص ١٣٥ ــ ١٣٩.

٣٢ــ البغدادى: **هدية العارفين**، ج ١ ص٣٤١، وكالة: **معجم المؤلفين**، ج ٤ ص ٤٠.

٣٣ــ محمد موفاكو: **المخطوطات العربية**، ص٥٤٧ ــ ٥٤٨.

٣٤ــ المرجع السابق، ص٥٤٩.

٣٥ــ **المرجع السابق نفسه**، ص ٥٥٠ ــ ٥٥١.

٣٦ــ **المرجع السابق نفسه**، ص ٥٥١ ــ ٥٥٢.

٣٧ــ **المرجع السابق نفسه**، ص٥٥٣.

٣٨ــ **المرجع السابق نفسه**، ص٥٥٤.

٣٩ــ جمال الدين سيد محمد: مقال عن الأدب اليوغوسلافى، **مجلة الفيصل**، العدد ١٢٣، ص٨٨ حاشية ٢.

٤٠ــ محمد صفوت السقا: **المسلمون فى يوغوسلافيا**، بيروت ١٩٧٤م، ص ٢٩.

٤١ــ جريدة **الشرق الأوسط** الصادرة فى ١٩٨٤/٤/٤.

٤٢ــ لمزيد من المعلومات عن الأوضاع القانونية لمسلمي يوغوسلافيا، انظر، يوسف محمد الغانم وغانم سلطان أمان: **المسلمون فى يوغوسلافيا**، الكويت ١٩٧٢م/ ١٣٩٢هـ.

٤٣ــ انظر العدد الصادر يوم ١٩٨٤/١/١٤ (١٤٠٤) من الجريدة المذكورة.

٤٤ــ انظر العدد ٩٠٣ من المجلة لشهر شوال ١٤٠٣هـ (١٩٨٣/٨/١١م) ص ٢٢ــ ٢٥.

٤٥ــ انظر العدد ٧٨٧ بتاريخ ٢٢ ربيع الثانى ١٤٠٤هــ ١٩٨٤/١/٢٥م، ص ٧٨.

٤٦ــ انظر المقال الكبير الذى نشره محمد حسين زروق فى **الشرق الأوسط** الصادرة فى ١٩٨٨/١١/١٨م، ونحن مدينون له فى كثير مما كتبناه فى هذه الفقرة.

٤٧ــ انظر العدد (١٣) الصادر فى ١٩٨٠/٥/١٠م، من تلك المجلة.

٤٨ــ انظر الأعداد الصادرة فى ١٩٨٧/٦/٨ و١٩٨٩/٢/١٣ و١٩٨٩/٣/١٣ و١٩٨٩/٤/١٠ و١٩٨٩/١١/٩ و١٩٩٠/٤/٢م.

٤٩ــ انظر العددين ٥٣١٧ و٥٣٢٤ المؤرخين فى ٢ و١٩٨٧/٣/٩م (١٤٠٧هـ).

٥٠ــ وذلك فى عددها (٣٤١) لشهر نيسان (أبريل) ١٩٨٧م (١٤٠٧هـ).

٥١ــ انظر العدد (٢٧) لشهر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٣م، ص ٦٨.

٥٢ــ محمد صفوت السقا: **المرجع السابق**، ص ٢٣.

٥٣ــ **المرجع السابق نفسه**، ص ٢٩.

٥٤ــ جريدة **رسالة الجامعة** (جامعة الملك سعود)، (العدد ١٤٤ بتاريخ ١٤٠١/٦/١١هــ ١٩٨١/٤/١١م.

٥٥ــ محمد صفوت السقا: **المرجع السابق**، ص ٢٤.



الملحق
خلاصة البحث المنشور بالمجلة الجغرافية الأميركية

١ ــ تبلغ مساحة يوغوسلافيا (٢٥٥) ألف كيلومتر مربع، وعاصمتها بلغراد التى يقطنها حوالي مليون نسمة من مجموع السكان (٢٤ مليوناً). والديانات السائدة فيها هى: النصرانية بكنيستها الأورثوذوكسية الشرقية والكنيسة الكاثوليكية، ثم الإسلام. وتسود البلاد اللغات الآتية: الصربية ــ الكرواتية، والسلوفينية والمقدونية والألبانية. وتبلغ نسبة الأمية فيها ١٠٪. ويعتمد اقتصاد البلاد على صناعة حفظ الأطعمة وصنع المكائن والنسيج واستخراج المعادن وإنتاج الكيماويات (ص ١٠٤ من مقال المجلة).

٢ ــ قضى العثمانيون عام ١٣٨٩م على أمبراطورية صربيا، وفى عام ١٤٥٣م قضوا على الأمبراطورية البيزنطية التي عاشت ألف سنة. وفى سنة ١٥٢٩م ضربوا حصارهم الأول على

فيينا ، وصارت لهم السيطرة على أغلب الأقاليم الجنوبية الشرقية من أوربا . ولكنهم فى عام ١٨٧٨ لم يبق لهم سوى إقليم قوصوه ومقدونيا وإقليم البوسنة والهرسك الذي ضُم إلى أمبراطورية النمسا فى عام ١٩٠٨م (ص ١٠٥ من المقال).

٣ ــ تتألف كرواتيا من ولاية دلماسيا الرومانية ، وقد تأسست فيها فى القرن العاشر الميلادى مملكة مزدهرة استمرت حتى القرن الحادى عشر. ثم خضعت للمجر، وفى القرن الخامس عشر صارت للبندقية لمدة أربعة قرون (ص ١٠٥).

٤ ــ كان إقليم البوسنة موضع نقمة البابوات بسبب انتشار مذهب «بوغوميلي» بين سكانه . ثم دخل أهله وأهل الهرسك فى الإسلام بأعداد كبيرة فى العهد العثماني ، وقد اعترفت الدولة فى عام ١٩٦٩ بأن هؤلاء لهم قومية متميزة هي «القومية المسلمة». تبلغ نسبة المسلمين حالياً فى الإقليم ٤٠٪ (ص ١٠٥).

٥ ــ إقليم الجبل الأسود منطقة جبلية وعرة كانت ضمن أمبراطورية صربيا ، وبعد سقوط تلك الأمبراطورية صار الجبل الأسود ملجأ لمتعصبي الصرب بعد هزيمة قوصوه ، وخضع الإقليم لحكم الأساقفة عدة قرون ، وحافظ على ذاتيته خلال العهد العثمانى (ص ١٠٥).

٦ ــ تتجمع فى إقليم مقدونيا عناصر عديدة من الصرب والترك والألبان واليونان ، ولكن المقدونيين هم الأغلبية ولهم لغتهم الخاصة . وفى أوائل القرن العشرين تمزقت وحدة مقدونيا

بسبب حرب البلقان، فقُسمت بين صربيا وبلغاريا واليونان، وصار مايتبع صربيا جمهورية من جمهوريات يوغوسلافيا فى عام ١٩٤٦ (ص ١٠٥).

٧ ـ يؤلف الصرب ٤٠ ٪ من سكان يوغوسلافيا وهم يسعون لإبقاء الوحدة اليوغوسلافية بزعامتهم ويفاخرون دوماً بأمبراطوريتهم التى سقطت فى القرن الرابع عشر الميلادي، والتى حكمت الكثير من أقاليم البلقان، ويفخرون أنهم قاوموا الغزو العثماني وحافظوا على الكنيسة الشرقية خلال العهد العثمانى (ص ١٠٥).

٨ ـ اقليم «فويفودينا» يعتبر من صربيا، لكن تيتو منح هذا الإقليم الحكم الذاتي بهدف التخفيف من جبروت الصرب الذين يؤلفون أغلبية سكان الإقليم، لكن نسبة عالية من سكانه هم من العنصر المجرى، مما جعل له وضعاً متميزاً (ص ١٠٥).

٩ ـ يعتبر إقليم قوصوه أقل الأقاليم اليوغوسلافية تطوراً وأكثرها فقراً رغم غناه بالمعادن. يقطن فى هذا الإقليم مليون وثلاثة أرباع المليون من الألبان المسلمين. ونسبة المواليد فيه تعتبر أعلى نسبة فى أوربا، الأمر الذي يقلق الصرب (ص ١٠٥ من المقال).

١٠ ـ الألبان ينحدرون من الشعب (الايليري Illyrians) الذى كان يقطن هذه المنطقة من البلقان لقرون عديدة قبل أن يدخلها السلاف (الصرب) الذين انحدروا إلى يوغوسلافيا

فى القرن الثامن الميلادى. وفى سعي الألبان للحصول على جهورية لهم كغيرهم من شعوب يوغوسلافيا، واجهتهم حكومة صربيا بالعنف والشدة وقتلت منهم بالعشرات، حتى إنها لم تتسامح مع من يذكر اسم «جمهورية قوصوه». وبين القتل أطفال كل جريمتهم أنهم رفعوا أصابعهم بحرف (V) علامة النصر. وهناك أناس قتلوا وهم فى منازلهم التى اقتحمتها عليهم الشرطة بتهمة أنهم انفصاليون. وقوصوه هذه شهدت عام ١٣٨٩م أعنف معركة شهدتها أوروبا فى العصور الوسطى عندما تصدى التحالف النصراني لوقف الزحف العثماني بقيادة السلطان مراد الأول الذي قضى نحبه هناك. وقد كانت خسائر الطرفين كبيرة جداً، ولكنها كانت النهاية لأمبراطورية صربيا. وفى عام ١٩٨٩م حضر إلى موقع المعركة مليون صربي لإحياء ذكرى قتلاهم، وعلى رأسهم الأمير لازار، ولكن حضورهم كان بهدف القضاء على الحكم الذاتي لأهل قوصوه الألبان الذين يؤلفون ٩٠٪ من سكان الإقليم (الصفحة ١٠٠ من المقال).

١١ــ الشعور السائد بين اليوغوسلاف يختلف باختلاف أصولهم العرقية والدينية، لذلك فإن من الصعب تصور وجود يوغوسلافيا موحدة، هذا ما قاله كاتب المقال (ص١٠٣). كانت يوغوسلافيا تحت زعامة تيتو تتبع سياسة الانفتاح التى عرفتها قبل غيرها بزمن طويل مما بشّر به (غورباتشوف)، إذ فصمت علاقاتها بالاتحاد السوفياتى فى سنة ١٩٤٨م الأمر

الذي ضمن لها دعم العالم الغربى على أساس مقاومتها للمد السوفياتي وسبّب لها الرخاء، حتى صارت نموذجاً للعالم اللامنحاز فى آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. أما الآن فإن اليوغوسلاف فى ضيق شديد فمعدل دخل الفرد منهم (٢١٢) دولاراً شهرياً ينفق ٨٠٪ منها للطعام والمتطلبات المنزلية. وقد تدنى مستواه عما كان عليه فى منتصف الستينيات، لاسيا وقد بلغت البطالة ٢٠٪ وارتفعت الديون الخارجية على الدولة إلى (١٦) مليار دولار. وكل فئة من اليوغوسلاف ترمي اللوم على الفئات الأخرى فيا حصل من تدهور. ولا شك أن من أهم أسباب الخلاف بينهم ووقوع الأزمات، هو الفراغ الذى أحدثه موت تيتو، فراغ الزعامة (ص١٠٣ـ ١٠٤).

١٢ـ ومما عقّد الأزمة التى تمر بها البلاد، ظهور شخص على مسرح الأحداث هو (سلوبودان ميلو شفيج) أحد مدراء البنوك، إذ تولى رئاسة جمهورية صربيا بصورة ديكتاتورية، وقبض على مقاليد الحكم بحجة الاضطهاد الواقع على الصرب فى إقليم قوصوه، مما أكسبه شعبية كبيرة فى بلغراد، ولكن ليس على أساس العمل لتحسين أحوال الشعب، وإنما على أساس ضرب الألبان وإعادة استعمار قوصوه بتهجير مئات الألوف من الصرب إلى ذلك الإقليم، خصوصاً وأن صحافة بلغراد لاتنشر الحقيقة عن الاعتداءات الكاذبة التي يُزعم وقوعها من جانب الألبان على الصرب. وقد أدى ذلك إلى

عدوان الشرطة الصربية على الألبان. وقد وصف أحد محققي (لجنة رقابة هلسكي) الوضع فى تقرير له قائلاً: «إن الوضع فى قوصوه مرعب مخيف، ويمثل أبشع تمثيل ديكتاتورية الحزب الواحد والدولة البوليسية التي تضطهد أكثرية سكان الإقليم. وقد أثار ذلك بعض الجمهوريات اليوغوسلافية نفسها، مثل كرواتيا وسولوفينيا اللتين تخشيان أن يقع عليهما ما يقع اليوم على قوصوه، خصوصاً وأن الصرب يدعون ـ تحت شعار المساواة ـ إلى أن يكون لكل يوغوسلافي صوت واحد، عملاً بالمبدأ المعروف، ولكن ذلك يخفي تحته أطماع الصرب الذين يبلغون ٤٠٪ من مجموع السكان، فى حين يؤلف سكان سلوفينيا ٨٪ فقط، مما يجعل الأخذ بذلك المبدأ طريقاً لسيطرة صربيا على يوغوسلافيا كلها (ص١٠٦ من المقال).

١٣ ـ المعروف أنه عندما انسحب العثمانيون من جنوب يوغوسلافيا عقب حرب البلقان، وسّعت صربيا إقليمها وحاولت ضم البوسنة والهرسك إلى ممتلكاتها، ولكن النمسا التى ضمت إليها ذلك الإقليم حالت دون ذلك. وفى عام ١٩١٤م اغتال شاب صربي ولي عهد النمسا أثناء زيارته للبوسنة، مما أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى. وفى نهاية الحرب تألفت دولة يوغوسلافيا من صربيا وكرواتيا وسلوفينيا والبوسنة والهرسك، ولكن تحت حكم ملك صربيا الدكتاتور المستبد، مما حمل الكروات والسلوفينيين على الانعزال والشعور بالخيبة، وقد قام

الكروات باغتياله فى عام ١٩٣٤م وتدهورت الأحوال منذ
ذلك الحين مروراً بالحرب العالمية الثانية، إلى أن ظهر على
المسرح مقاتل كرواتي هو (تيتو) الذى بنى على أنقاض تلك
الحرب الدولة الجديدة، إذ هو الرجل الوحيد الذى استطاع
أن يجمع مختلف العناصر المتناحرة، وإن كان قد أرسل إلى
السجون فى الجزر المعزولة البعيدة (٧٠٠٠) من خصومه
السياسيين. وعمد لأجل أن يخفف من سطوة صربيا إلى
إعطاء إقليم قوصوه وإقليم فويفودينا قسطاً كبيراً من الحكم
الذاتي، ولهذا السبب أخذ الصرب فى السنين الأخيرة يحرقون
صور تيتو فى تظاهراتهم، ويسعون لطرد رفاته من مدفنها فى
بلغراد (ص١٠٦ــ ١٠٧).

١٤ــزار كاتب المقال (مقال المجلة الجغرافية الأميركية،
ص١٠٩) إقليم قوصوه، ولمس بنفسه تصميم الألبان على
كسب المعركة مهما كلفهم الأمر، خاصة وليس لديهم
ما يمكن أن يخسروه إذا ما خسروا المعركة. وهدفهم المعلن
هو البقاء ضمن الاتحاد اليوغوسلافي، ولكن ليس ضمن
التبعية لصربيا. وكثيرون منهم يلتفون حول أستاذ جامعي
يتزعم حزب العصبة الديمقراطية الذى استقطب السكان،
حتى صار عدد أعضاء حزبه خمسة أضعاف عدد أعضاء
الحزب الشيوعي اليوغوسلافى فى المنطقة، فقد انضم إليه
علاوة على الألبان، الأتراك، بل وحتى بعض الصرب. كما
أن عدد الألبان فى مقدونيا يتضاعف بسرعة، ويُخشى أن

يقع هناك احتكاك مماثل لأن المقدونيين سلاف أيضاً ، ولكن المقدونيين يخشون أيضاً سطوة الصرب و يتهمونهم بأنهم يهدفون لاستعمار مقدونيا كذلك ، لا سيما وأن (ميلوشيفيج) يدعو إلى استرداد الأراضي التى استملكت من الصرب عقب الحرب العالمية ووزعت على فلاحي مقدونيا الذين يفلحونها منذ ذلك الحين (ص ١٠٩).

١٥ـ تقاسي يوغوسلافيا فى الوقت الحاضر من تضخم نقدي يبلغ ٢٦٠٠٪ حتى صار الدولار يساوى (١٠٠) ألف دينار يوغوسلافي. وقد عمدت الحكومة إلى تخفيضه ، فجعلت المليون دينار معادلة لمئة دينار جديد!! (ص ١١٠ من المقال).

١٦ـ من الجزر التى تحاذي الساحل اليوغوسلافى البالغ طوله حوالي ألف كيلو متر (٦٦) جزيرة فقط من أصل (٨٠٠) هى المسكونة ، ومنها جزيرة (خوار HVAR) التى ينبت فيها نبات (اللاونطة الذي يسمى بالانكليزية LAVANDA) ومنه تستخرج الزيوت العطرية المستخدمة فى صنع العطور والأدوية (ص ١٢ ــ ١١٣ من المقال).

١٧ـ مدينة زغرب عاصمة كرواتيا تعتبر العاصمة الاقتصادية والصناعية ليوغوسلافيا كلها ، وبسبب خضوعها مدة طويلة لحكم النمسا ، فإنها أشبه ما تكون بفيينا . وفى شتاء عام ١٩٨٩م ، أعلنت حكومة كرواتيا حرية الانتخاب بعد (٥٠) عاماً من الاحتكار الشيوعي ، فظهر إلى الوجود ثلاثون

حزباً. وقد فازت المعارضة بالأغلبية بقيادة مناضل كرواتي سبق سجنه لنزعته القومية الكرواتية التي عبر عنها في مؤلفاته على الرغم من ماضيه اللامع في القتال أثناء الحرب العالمية الثانية، ويعمل هذا المناضل ضد تحكم صربيا، وتقول المجلة: إن هذا ما كان يعمل له تيتو (ص ١١٦ ــ ١١٧).

١٨ ــ إن ما يقرب من ثلثي الإنتاج الصناعي اليوغوسلافي ومعظم صادرات يوغوسلافيا تأتي من كرواتيا وسلوفينيا اللتين تتمتعان بأعلى مستوى للمعيشة في يوغوسلافيا (ص ١١٨ من مقال المجلة).

١٩ ــ إن معظم الصناعات اليوغوسلافية المملوكة من قبل الدولة تعاني من خسائر كبيرة، ومنها صناعة السيارات ولكن بعضها لا يزال يواصل الإنتاج وينتج ما لا يقل عن ربع مليون سيارة في السنة (ص ١١٩).

٢٠ ــ استطاعت المعارضة في كرواتيا وسلوفينيا أن تكتسح الانتخابات الأخيرة وتنتصر على الشيوعيين. وفي سلوفينيا أُسقطت صفة «الاشتراكية» من اسم هذه الجمهورية، بل حتى الحزب الشيوعي المحلي انسحب من عضوية الحزب الأم متهماً إياه بالدكتاتورية. إن سلوفينيا التي تبلغ نسبة نفوسها ٨٪ من نفوس يوغوسلافيا، تنتج ٢٠٪ من مجموع الإنتاج اليوغوسلافي، وتسهم في ثلث الصادرات، وتقدم ٢٧٪ من ميزانية الدولة العامة، إلا أنها تجبر على تقديم العملة الصعبة المتأتيه من صادراتها، إلى الدولة الاتحادية. وسلوفينيا هذه

لا تعجبها تصرفات صربيا فى إقليم قوصوه، مما حمل أهل صربيا والجبل الأسود على إرسال آلاف الدعاة إلى سلوفينيا « لتثقيف » أهلها ، الأمر الذى كان يخشى معه وقوع حرب شوارع فعمدت القيادة السلوفينية إلى إغلاق الطرق فى وجه مواكب الدعاية ، وعندها قررت صربيا مقاطعة سلوفينيا اقتصاديا ، وتوقفت عن دفع الديون المستحقة عليها لسلوفينيا (ص ١٢٠ — ١٢١).

٢١ — يعترف بعض الزعماء الشيوعيين فى يوغوسلافيا أن بلادهم حالياً ليست ديمقراطية ، وأنها على شفا حرب أهلية ، لا سيما بسبب موقف صربيا من قوصوه . وإذا تعذر الوصول إلى نظام ديمقراطي مقبول فإن سلوفينيا ستعمد إلى الانفصال عن يوغوسلافيا ، خصوصاً وأن الناس قد شبعوا من الحديث عن الشيوعية ، ولا يريدون أن يسمعوا شيئاً عنها بعد الآن ، إذ لا يمكنها أن تنجح لأنها لا تتمشى مع الحرية . كما أن هناك أحزاباً جديدة تسعى إلى الأخذ بنظام كونفدرالي ينظم العلاقة بين الجمهوريات اليوغوسلافية بدلاً من النظام الفيدرالي الحالي ، باعتباره (أي الكونفدرالي) هو النظام الوحيد المناسب لأوضاع يوغوسلافيا (ص ١٢٢ — ١٢٣).

٢٢ — المعروف أن سلوفينيا كانت تحت حكم النمسا لمدة ستة قرون ، وبعد الحرب العالمية الأولى أصبحت جزءاً من يوغوسلافيا ، وهى تعتبر أكثر جمهورياتها تغرباً بسبب تعرضها لعدة قرون للتأثير الثقافي الجرماني ، إلا أن لأهلها لغتهم السلافية الخاصة بهم (ص ١٠٤ من مقال المجلة).



مراجع البحث

أولاً ــ المراجع المنشورة باللغة العربية:

١ ــ أمان، غانم سلطان أمان وزميله: **المسلمون فى يوغوسلافيا** ــ الكويت ١٩٧٢.

٢ ــ بارتولد W. Barthold : الصقالبة، مقال فى **الموسوعة الإسلامية**، الترجمة العربية.

٣ ــ باليتش، د. اسماعيل: **الإسلام فى المجر**، القاهرة ١٩٦٦.

٤ ــ البغدادى، اسماعيل باشا: **هدية العارفين**، استانبول ١٩٥١.

٥ ــ **الدعــوة**، مجلة صادرة فى الرياض، العدد ٩٠٣ ــ شوال ١٤٠٣هـ.

٦ ــ رزق، محمد حسين: مقال عن يوغوسلافيا فى جريدة **الشرق الأوسط** يوم ١٨/١١/١٩٨٨.

٧ ــ **رسالة الجامعة**، صحيفة جامعة الملك سعود بالرياض، العدد ١٤٤ بتاريخ ١١/٦/١٤٠١هـ.

٨ــ الرفاعى ، أحمد فريد : **عصر المأمون** ، القاهرة ١٩٢٧ .

٩ــ السقا ، محمد سفوت : **المسلمون فى يوغوسلافيا** ، بيروت ١٩٧٤ .

١٠ــ**الشرق الأوسط** ، جريدة تصدر فى الرياض ، العددان ١٩٨٤/١/١٤ و١٩٨٤/٤/٤ .

١١ــشكريج ، نياز محمد : **الفتح العثماني وانتشار الإسلام فى البوسنة والهرسك** ، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد فى سنة ١٩٧١ (غير منشورة) .

١٢ــ**العربي** ، مجلة تصدر فى الكويت ، العدد ٢٣٣ــ نيسان ١٩٧٨ والعدد ٣٤١ــ نيسان ١٩٨٧ .

١٣ــالفرج ، د. وسام عبدالعزيز : تقرير عن مؤتمر الدراسات البيزنطية فى برمنغهام بتاريخ ١٨ــ١٩٨٩/٣/٢١ ، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية** العدد ٣٦ لسنة ١٩٨٩ .

١٤ــ**الفيصل** ، مجلة تصدر فى الرياض ، العدد ٣٥ صفر ١٤٠٠هـ والعدد ٦٠ جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ .

١٥ــ**القبس** ، جريدة تصدر فى الكويت ، العدد ٥٣١٧ بتاريخ ١٩٨٧/٣/٢ والعدد ٥٣٢٤ بتاريخ ١٩٨٧/٣/٩ .

١٦ــ كحالة ، عمر رضا : **معجم المؤلفين** ، دمشق ١٩٥٧ .

١٧ــ**المجلة** ، مجلة تصدر فى لندن ، العدد ١٣ بتاريخ ١٩٨٠/٥/١٠ .

١٨ــمحمد ، د. جمال الدين سيد ، **الأدب اليوغوسلافي** ، مجلة «**الفيصل**» العدد ١٢٣ .

١٩ ــ موفاكو، د. محمد: المخطوطات فى جنوب يوغوسلافيا، **مجلة معهد المخطوطات العربية** المجلد ٢٦ جزء ٢ لسنة ١٩٨٢.

٢٠ ــ موفاكو، د. محمد: مقال عن الحاج عمر لطفى: **مجلة العربى**، العدد ٢٤٢ لسنة ١٩٧٩.

٢١ ــ محنة الإسلام فى يوغوسلافيا، من مذكرات **مؤتمر العالم الإسلامى**، المعقود فى الصومال فى سنة ١٩٦٤.

٢٢ ــ **مجلة معهد المخطوطات العربية** المجلد ٢٦ الجزء الثانى لسنة ١٩٨٢.

٢٣ ــ نشرة **معهد المخطوطات العربية**، العدد (٤) لسنة ١٩٨٢.

٢٤ ــ ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، طبعة أوربا.

٢٥ ــ **اليمامة**: مجلة تصدر فى الرياض، العدد ٧٨٧ ربيع الثانى ١٤٠٤هـ.

ثانياً ــ المراجع الأجنبية:

٢٦ ــ ANFORTH, C.D. Yugoslavia A House Divided, **NATIONAL GEOGRAPHIC MAGAZINE,** August 1990.

٢٧ ــ **ARABIA, Aperiodical, london No. 27 Nouvember 1983.**

٢٨ ــ **NEWSWEEK** MAGAZINE, 21 1.1987.

٢٩ ــ **TEKIJA IN BLAGAJ,** A publication published in Mostar - Yugoslavia 1983.

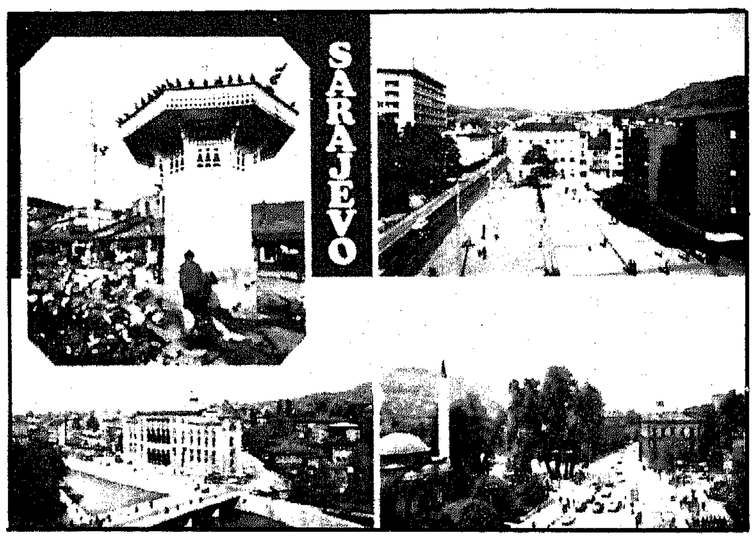
٣٠ ــ **Time** MAGAZINE, Published on 8.8.1987, 13.2.1989, 13 3 1989 10 4 1989, 9 11 1989 and 2 4 1990

ملاحظـة :

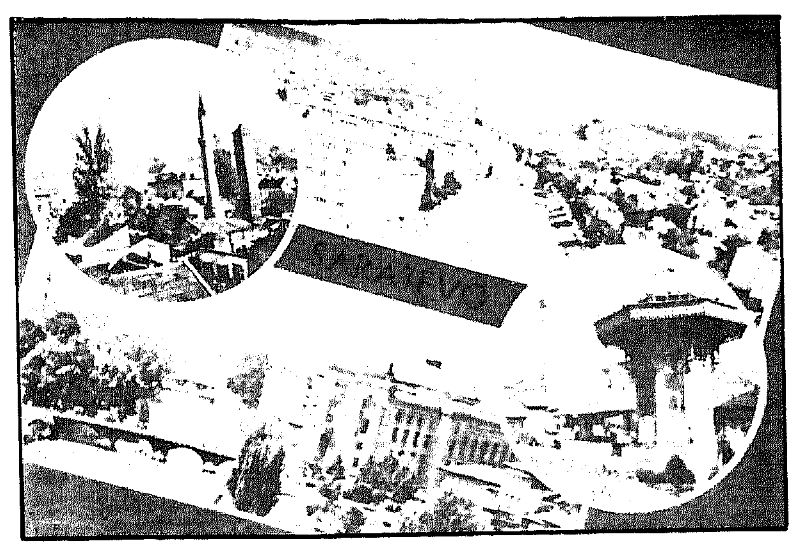
إن قسطاً كبيراً من المادة المدرجة فى هذا البحث هو حصيلة الاطلاع الشخصى لكاتب البحث الذى قضى خمس سنوات فى العمل الدبلوماسي فى يوغوسلافيا وبلغاريا، مما أتاح له فرصة الاطلاع على أحوال يوغوسلافيا بصورة عامة وأحوال مسلميها بصفة خاصة، إذ كان على اتصال وثيق بهم حتى بعد انتهاء مهمته فى تلك البلاد.



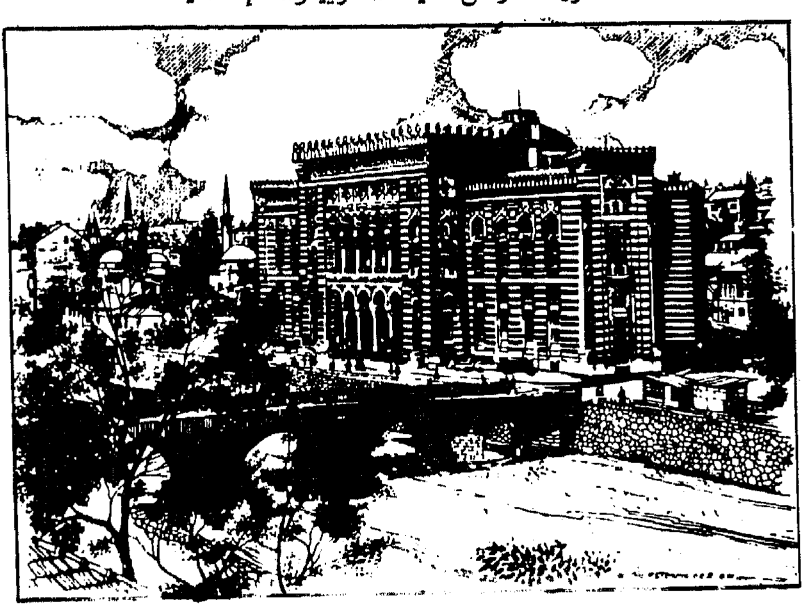




صورتان لمدينة «سراييفو» الإسلامية عاصمة اقليم البوسنه والهرسك

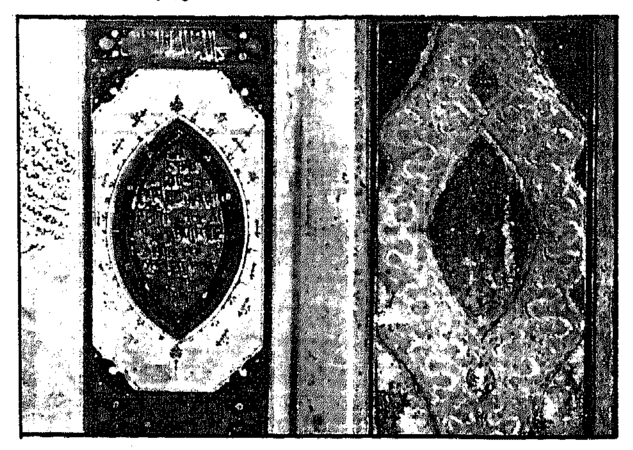


٣ — صور لمناظر من مدينة «سراييفو» الإسلامية



٤ — صورة المكتبة الغازى [illegible] في [illegible] رايبفو» الوارد ذكرها في هذا [illegible]

من مخطوطات مكتبة الغازى خسرو بك

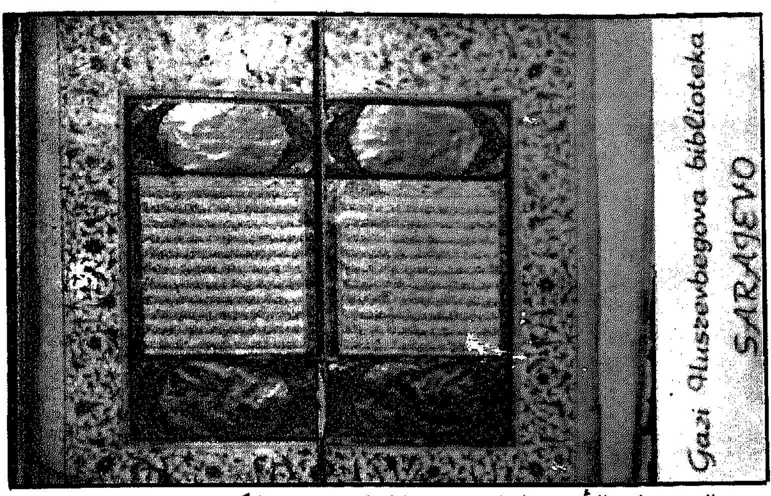


نماذج من جلود بعض مخطوطات القرآن الكريم



صور من مخطوطة ديوان الشاعر «حافظ الشيرازي»

من مخطوطات مكتبة الغازي خسروبك



الصفحتان الأولى والثانية من مخطوطة تفسير «الكشاف» للزمخشري



من اليمين: الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب «فتح الغفار»، ثم الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب «فتاوى الأنقروي»


GERMANY
CZECHOSLOVAKIA
AUSTRIA
HUNGARY
ITALY
ALBANIA
GREECE
ROM.
U.
Tyrrhenian Sea
YUGOSLAVIA
SLOVENIA
One of the "peasant nations" of the Habsburg empire, Slovenia emerged in 1918 from six centuries of Austrian rule as Yugoslavia's most westernized republic. Through the centuries its cities were outposts of German culture. That the Slovenian language was preserved is a tribute to continued use by the peasant population and Roman Catholic clerics.
CROATIA
Incorporating the ancient Roman province of Dalmatia, with its Latin-speaking inhabitants, the kingdom of Croatia flourished in the 10th and 11th centuries, after which it was dominated by the Hungarian kingdom. In the 1400s Venice gained control of Dalmatia and ruled it for four centuries.
VOJVODINA (Province)
To dilute Serbian hegemony, President Tito (1953 to 1980) promoted greater self-rule for the provinces of Vojvodina and Kosovo, although they remained subordinate to the Republic of Serbia. Though Serbs are the largest group in Vojvodina, ethnic Hungarians constitute a large minority.
SERBIA
Serbs make up 40 percent of Yugoslavia's population. Determined to maintain national unity and Serbian primacy, Serbs revere the memory of their 14th-century emperor, Stefan Dušan, who extended Serbian rule in the Balkans. Fierce fighters, the Serbs defied Turkish control and preserved the Serbian Orthodox faith through centuries of occupation.
KOSOVO (Province)
The heartland of me Serbia—dirt poor but rich—Kosovo is hor some 1.7 million et Albanians. Predomi Islamic in faith, the Yugoslavia's fastest g population and a sou enmity to Serbi nationalists who view as a kind of Serbi Palestine.
BOSNIA and HERCEGOVINA
Religious mavericks, Bosnians once incurred the wrath of popes by following a heretical sect known as Bogomils. Later they and the people of Hercegovina provided the largest number of Slavic converts to Islam during Ottoman rule. Muslims were recognized as an ethnic nationality in 1969. Today the republic is 40 percent Islamic.
MONTENEGRO
Once a part of the Serbian empire, this isolated mountainous kingdom gained fame as a sanctuary for Serbian freedom fighters after the Battle of Kosovo Field. For centuries a theocracy ruled by bishops, Montenegro maintained its autonomy during the Ottoman period.
MACEDONIA
In this Balkan brew of Slavs, Albanians, Turks, Gypsies, and Greeks, Macedonians are the majority and have their own language. Early in the century this ancient land of Alexander the Great was torn by the bloody Balkan Wars, finally resolved by partition between Greece, Serbia, and Bulgaria. Serbian Macedonia became a republic when the modern Yugoslav state was formed in 1946.
Maribor
Ljubljana
Zagreb
Rijeka
Istria
Osijek
Subotica
Novi Sad
Belgrade (Beograd)
Banja Luka
Sarajevo
Kragujevac
Split
Mostar
Dubrovnik
Kotor
Titograd
Priština
Skopje
Niš
Budva
Bar
Lake Scutari
Lake Ohrid
Danube (Dunav)
Sava
Drava
Drina
Morava
Vardar
Serbs
Croats
Albanians
Muslims
Slovenes
Macedonians
Montenegrins
Hungarians
No predominant ethnic group
SERBS Additional ethnic concentration
Colors represent areas where an ethnic nationali constitutes 50% or more of the population.
100 km
100 mi
AUSTRIA-HUNGARY
OTTOMAN EMPIRE
1914
By 1529, when they laid siege to Vienna, the Ottomans controlled most of southeastern Europe. Slavs, Albanians, and other groups maintained strong national identities.
By 1878 only Macedonia and Kosovo remained under Turkish control. In 1908 a fuse was set for World War I when Austria-Hungary annexed the Bosnia and Hercegovina region. The fuse was lit in 1914 when a Serbian nationalist assassinated Austrian Archduke Franz Ferdinand in Sarajevo.

وإتماماً للفائدة فقد رأت دار الشواف أن تضم إلى الكتاب تقريراً مختصراً عن أحوال المسلمين في يوغوسلافيا من بعد الحرب العالمية الثانية إلى أيامنا هذه بالتعاون مع الأخ اليوغوسلافي المسلم زهدي بكر عادل لوفينش الطالب بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والذي يقوم بجهود مشكورة للتعريف بقضية المسلمين في يوغوسلافيا ونسأل الله تعالى أن يثيبه على ذلك أعظم الأجر والمثوبة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون في يوغسلافيا

يوغوسلافيا اتحاد فيدرالي مكون من ست جمهوريات، هي: صربيا، وكرواتيا، وبوسنة وهرسك، وسلوفنيا، ومقدونيا، والجبل الأسود. وتتكون جمهورية صربيا من صربيا نفسها وولايتين ذاتي حكم ذاتي، هما كوسوفو Kosovo وفويفودنا Vojvodina. ويصل مجموع سكان يوغوسلافيا إلى ٢٤ مليون نسمة، أما مساحتها فهي ٢٥٥,٨٠٤ كيلومتر مربعاً.

يتكون غرب يوغوسلافيا من أرض جبلية تصل أعلى قمة فيها إلى ٢٨٦٤ متراً فوق سطح البحر. أما شرقها فهو سهل شاسع يطل على نهر الدانوب. وتحدها شمالاً المجر والنمسا وإيطاليا، وشرقاً رومانيا وبلغاريا، وجنوباً اليونان وألبانيا، وغرباً بحر الأدرياتيك بجزره العديدة التابعة ليوغوسلافيا.

وأكبر مدن البلاد هي عاصمتها بلغراد (حوالي مليون نسمة) في صربيا، وزاغرب عاصمة كرواتيا، وليوبليانا عاصمة سلوفينيا، وسراييفو عاصمة بوسنة وهرسك، وسكوبيه عاصمة مقدونيا. وللبلاد ثماني جامعات مختلفة.

ويتركز اقتصاد يوغوسلافيا على الزراعة والمعادن الصناعية.. وأهم المعادن التي تنتجها الألومنيوم والنحاس والحديد والفضة والزئبق والرصاص. كما أنها تنتج الغاز الطبيعي. أما صناعاتها فهي في تقدم مستمر في كل المجالات.

تاريخ دخول الإسلام:

كانت قبائل إليرية في غابر الأزمان تسكن الأراضي التي تكون اليوم يوغوسلافيا. وقبل حوالي ألفي سنة احتل الرومان تلك المناطق، ودام ذلك الاحتلال حوالي أربعة قرون. وفي القرن الثاني للميلاد أخذت المسيحية تنتشر في أرض إليرية من روما، ثم من القسطنطينية بعد أن انقسمت الأمبراطورية الرومانية على نفسها عام ٣٩٥ ميلادياً.

وفي غضون القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) أخذت قبائل سقلبية تغزو مناطق إليرية حتى قضت على الإليريين إلا في المناطق الجنوبية الغربية حيث ينحدر منهم اليوم الألبان. ومعظم سكان يوغوسلافيا اليوم بما فيهم المسلمون البشناق ينحدرون من هؤلاء السقالبة. واسم «يوغوسلافيا» نفسه يعني أرض السقالبة

الجنوبيين. أما السقالبة الآخرون فهم الروس والأكرانيون والبولانديون والتشيكيون والسلوفاكيون.

وكانت القبائل السقلبية التى غزت إليرية من الشمال تنقسم إلى مجموعات متعددة أهمها: السلوفيين والصرب والكروات، واعتنق الكروات والسلوفيون المذهب الكاثوليكي، بينما اعتنق الصرب المذهب الاورثوذكسي. وقامت معارك دينية طاحنة بين الصرب والكروات كانت جبهتها أرض البوشناق الجبلية. وفى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) تأسست دولتان حسب التجزئة الدينية، إحداهما دولة الصرب الأورثوذكسى في الجنوب، والثانية دولة الكروات والكاثوليك في الشمال. أما بلاد البشناق فظلت منطقة نزاع بين الدولتين حتى كون البشناق دولة قائمة بنفسها في أوائل القرن السادس الهجري (عام ١١٣٧ ميلادياً).

لقد حافظ الشعب البوشناقي على تقاليده القبلية ولم يقتنع بالنصرانية، لا في مذهبها الكاثوليكي ولا الأرثوذوكسي. وبقيت دولة البشناق تقف موقف الحياد بين نزاعات الصرب والكروات الدينية. وأعانهم على ذلك موقعهم المنيع في جبال وعرة. فتكونت كنيسة مستقلة سُميت بالكنيسة البشناقية أو البوغوميلية. وكانت هذه الديانة البشناقية في كل مظاهرها وعقائدها قريبة من الدين الإسلامي. فأثارت حقد البابا وملوك المجر الذين حاولوا جهدهم إرغام البشناق على اعتناق المذهب الكاثوليكي.

فما هي خواص هذه الديانة البشناقية التي اعتنقها الألبان كذلك؟ كان منبعها في مقدونيا جنوب بلاد بوشناق. وكان أصحابها يرفضون مبدأ النزاع المسيحي بين الروح والمادة، ويرفضون أكثر ما نقله المسيحيون عن العهد القديم، كما يرفضون تقديس البشر وعبادة الصليب، وجل الطقوس المسيحية بما في ذلك التعميد. وكان البوغوميليون ينتقدون التنظيم الكنسي وتزيين الكنائس. وكانوا يرون في المسيحية السائدة ديانة شرك، ويريدون الرجوع بها إلى أصلها الصحيح. ولهذا يمتنعون عن عبادة الصور، ولا يعترفون بألوهية المسيح. وتقول بعض المصادر التاريخية إنهم كانوا يتبعون إنجيل برنابا. ولا شك أن هذه الديانة كانت ناتجة عن تأثير الإسلام الروحي قبل أن تصل الجيوش الإسلامية بكثير إلى تلك المناطق. وللطرق الصوفية في ذلك العهد دور مهم في نشر الدعوة الإسلامية في الأراضي النصرانية خارج الحدود العثمانية. فدخلت عن طرقهم كلمات عربية إلى لغة البوغوميليين الدينية. وكانوا يسمون زعيمهم الأكبر «الجد» باللفظ العربي.

ودخل العثمانيون الأراضي البشناقية لأول مرة حينما فتحوا جنيبلو سنة ١٣٥٣ وهزموا الجيوش النصرانية المتحالفة سنة ١٣٦٥ قرب أدرنة، (وكان الفاطميون قد أغاروا على الساحل اليوغوسلافي في القرن الحادي عشر الميلادي). وأدى النصر العثماني إلى فتح مقدونيا في السنة نفسها من طرف السلطان مراد. فتوحد البيزنطيون والصرب والبلغار للوقوف في طريقهم،

لكنهم انهزموا هزيمة شنعاء في عام ١٣٧١م. وأخذت الدول الصربية الشمالية تتحد مع بعضها للوقوف في وجه المسلمين، لكنها انهزمت جميعها عام ١٣٨٩م في معركة كوسوفو الشهيرة. وبذلك انضمت جميع الأراضى الصربية إلى الدولة العثمانية وآخرها مدينة بلغراد سنة ١٤٥٢. فأصبح المسلمون على أبواب بلاد البشناق. ورغم ضعف دولة بشناق لم يفتحها العثمانيون واكتفوا بأخذ جزية سنوية من ملوكها.

وظل النزاع الديني على أشده داخل دولة البشناق. فلقد كان الشعب وزعماؤه الأصليون تابعين للمذهب البوغوميلي، بينما بقي ملكهم وأتباعه كاثوليكا. وأخذ المبشرون الكاثوليك يتوافدون من كل مناطق أوروبا لإرغام البشناق على اعتناق دينهم. وأخيراً قرر ملك البشناق القضاء نهائياً على المذهب البوغوميلي، فوقعت معارك دامية وحرب أهلية طاحنة. واستنجد زعيما البوغوميل وهما فوكجيج وبافلوفيج بالمسلمين لنصرتهم. وأخذ البوغوميليون يهاجرون إلى الأراضي العثمانية حفاظاً على دينهم. فحينئذ قرر السلطان العثماني محمد الفاتح ــ رحمه الله ــ فتح بلاد البشناق في ربيع سنة ١٤٦٣م، وأعلن أن لا إكراه في الدين. وبهذا ارتاح البوغوميليون من اضطهاد الكنيستين الشرقية والغربية.

وعندما تعرف البوغوميليون على مبادىء الإسلام رأوا فيه الدين الحق، وأخذوا يعتنقونه زرافات ووحدانا. ولم يمر قرن واحد حتى اعتنقوا الإسلام جميعاً طواعية وباندفاع، فصاروا من أقوى أنصاره

وأعز جماته طيلة الحكم العثماني. وكانوا الدرع الشمالي الحصين للدولة الإسلامية. وبرز منهم في الدولة العثمانية كثير من الوزراء والقواد والعلماء.

وافتتح للبشناق عهد جديد أخذوا يشيدون فيه المدن لأول مرة، ويعطونها طابعاً إسلامياً بمساجدها ومدارسها وأسواقها. وأهم هذه المدن سراييفو، أو بشناق سراي كما كان يسميها الأتراك. بلغت الحركة العلمية في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري ذروتها حيث نشأت تأليفات كثيرة بأقلام العلماء البشناق، ولم يكن أحد من هؤلاء يستحق لقب «العالم» حتى يكتب الشعر باللغات الثلاث: العربية والتركية والفارسية، (والمعروف أن العربية كانت لغة العلم والتركية لغة الإدارة والفارسية لغة الشعر). وكاتب هذه السطور بصدد تحقيق كتب «نور اليقين في أصول الدين» شرح العيدة الطحاوية المشهورة للشيخ حسن كافي الأقحصاري البسنوي ــ أحد أعلام ذلك العصر.

وعم الإسلام معظم المناطق اليوغوسلافية التي كانت تابعة للدولة العثمانية. لكن السلطان محمداً الفاتح أذن للكاثوليك خارج الدولة العثمانية بالقدوم لتعمير الأراضي المهجورة، وذلك في ظهير مشهور باسم «عهد نامة» لسكان ميلودرازوة. ولولا ذلك لما كان في بلاد البشناق غير المسلمين.

وتوالت الفتوح العثمانية بفتح كل بلاد البشناق والهرسك سنة ١٤٨١، ثم معظم كرواتيا سنة ١٥٢٦. ووصل العثمانيون إلى سلوفينيا سنة ١٥٦٦، غير أنهم لم يفتحوها.

ثم أخذت الدولة العثمانية تنحسر وتتقهقر، وتتوالى عليها الهزائم، فاحتل النمساويون كرواتيا في أوائل القرن السابع عشر، ثم ثار سكان الجبل الأسود سنة ١٦٩٧ واستقلوا بنفسهم. وتابع النمساويون هجومهم فاحتلوا بلغراد سنة ١٧١٨، لكن العثمانيين استعادوها سنة ١٧٣٨. وفي سنة ١٨٣٠ ثارت صربيا كلها واستقلت بنفسها. واضطر العثمانيون ١٨٧٨ إلى التخلي عن بلاد البشناق والهرسك لدولة النمسا ـ المجر. وفي سنة ١٩١٢ سيطرت دولتا الصرب والجبل الأسود على أجزاء ألبانية كبيرة كانت تابعة للدولة العثمانية، وذلك بعد أن ثار الألبان. وبصفة عامة يمكن القول إن الحكم العثماني لم يدخل سلوفينيا، ودام حوالي ٤٠ سنة في كرواتيا وفويفودنا، وحوالي ٣٨٠ سنة في صربيا، و٤١٥ سنة في بلاد البشناق والهرسك، و٤٢٠ سنة في الجبل الأسود، و٤٣٠ سنة في كوسوفو، و٥٤٧ سنة في مقدونيا.

حالة المسلمين بعد ذهاب العثمانيين

عندما انسحبت الدولة العثمانية عن بلاد البشناق والهرسك سنة ١٨٧٨ لدولة النمسا ـ المجر وقعت لأول مرة أعداد كبيرة من المسلمين تحت حكم غيرهم. فهاجر الكثير منهم إلى الأناضول

والبلاد الأخرى التي بقيت تحت الحكم العثماني. وكان الحكم النمساوي قاسياً على المسلمين، منعوتاً بالتشريد والاضطهاد ومحاولة التنصير من طرف الكاثوليك، فأدى ذلك مرة أخرى بالكثير من المسلمين إلى الهجرة إلى تركيا. وفي عام ١٩٠٠ ثار المسلمون على النمساويين بزعامة على فهمي جابيج. نجح المسلمون في الحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية في ١٥ أبريل عام ١٩٠٩. وبعد الحرب العالمية الأولى التي انهزمت فيها دولة النمسا ـ المجر تأسست الدولة اليوغوسلافية لأول مرة حيث جمع فيها السقالبة الجنوبيون. وكانت فرحة المسلمين كبيرة لهذا الحدث حيث كان هدفهم التخلص من الاستعمار النمساوي. وبعد الاستقلال غدر الأورثوذكس بالمسلمين، تحت شعار الإصلاح الزراعي صادروا جميع أراضيهم عام ١٩١٨ وأعطوها للفلاحين الأورثوذكس. فأدى ذلك إلى إفقار المسلمين وتأخيرهم بعد أن كانوا في طليعة التقدم بين الشعوب اليوغوسلافية.

ولنأخذ مدينة بلغراد كمثال لما حدث للمسلمين في يوغوسلافيا. فلقد فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٢ واحتلها النمساويون سنة ١٧١٨، ثم استرجعها العثمانيون سنة ١٧٣٨، ثم فقدوها للمرة الأخيرة سنة ١٨٣٠. فيكون الحكم العثماني قد دام فيها ٣٥٨ سنة. وكانت في القرن السابع عشر مدينة إسلامية زاهرة. وعندما زارها الرحالة التركي أوليا شلبي سنة ١٦٠٠م كان سكانها مئة ألف نسمة ثلاثة أرباعهم مسلمون. وكان بالمدينة ٢٧٠ مسجداً تقام في ٣٣ منها صلاة الجمعة، وبها ١٧ تكية، و٨ مدارس

ثانوية إسلامية، و٩ دور للحديث، و٢٧٠ من الكتاتيب القرآنية.
وبعد أن انحسر الحكم الإسلامي عن المدينة قضى المسيحيون على المدارس والكتاتيب والمساجد كلها الواحدة تلو الأخرى، خاصة بعد أن هاجر عنها سكانها المسلمون. فمثلاً هُدم مسجد الرئيس أفندي وأنشىء مكانه ملز لسباق الخيل، وبُني المسرح المركزي على أنقاض مسجد التربة، والبرلمان اليوغوسلافي نفسه هو في الحقيقة مسجد بتار الذي كان أجمل وأكبر مسجد في بلغراد، وفندق بلاس بُني على أرض مسجد، وهلم جرا... والمسجد الوحيد الذي نجا من الهدم بأعجوبة بقي لكونه أول مسجد بناه المسلمون في بلغراد فأعطته الحكومة لمديرية الآثار ولم يسترجعه المسلمون إلا سنة ١٩٦٢م. واسم هذا المسجد جامع بيرقلي، وقد بُني عام ١٥٢١ بأمر من السلطان سليمان القانوني ــ رحمه الله ــ وحوله النصارى إلى كتدرائية سنة ١٧١٨ عندما احتلوا بلغراد، ولكن استرجعه المسلمون عام ١٧٣٨.

لم يأت عام ١٩٣١ حتى كانت أحوال المسلمين في يوغوسلافيا قد استقرت. فخف الاضطهاد عنهم، وتضاءلت هجرتهم، وتوقف استعمار الكاثوليك لأرضهم. فأخذوا يسترجعون دورهم القيادي شيئاً فشيئاً. وأسس عام ١٩١٩ الحزب الإسلامي اليوغوسلافي بزعامة الدكتور محمد سباهو الذي ترأس عدة حكومات يوغوسلافية بين الحربين.

وكانت الحرب العالمية الثانية صعبة على جميع اليوغوسلافيين،

اتسمت بمذابح في المسلمين من طرف الأورثوذكس من جهة وبين الأورثوذكس والكاثوليك من جهة أخرى. فقُتل من المسلمين مايزيد على ٢٥٥ ألف كثير منهم الأطفال والنساء وكبار السن من الرجال. وبعد الحرب سيطر النظام الشيوعي، فضيق الخناق على المسلمين، كما ضيقه على غيرهم من السكان.

حالة المسلمين من بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم

اشتهرت أثناء الحرب العالمية الثانية العصابات المتطرفة الصربية باسم Cetnik وقامت بقتل المسلمين والكروات، مع تعذيبهم قبل القتل، والتمثيل بجثثهم مظهرين بذلك مالديهم من البغض والكراهية للكروات والمسلمين. واشتهرت بين الكروات عصابات كرواتية متطرفة قامت بذبح وقتل أعداد من الصرب، كما قتلوا عدداً من المسلمين في غربي بوسنا. أما المسلمون فاختلفوا عنهم تماماً، حيث اشتهرت بينهم قبيل الحرب وأثناءها حركة الشبان المسلمين، وهي حركة خيرية إنسانية دينية، أسسها الشيخ الأستاذ محمد خانجيج والشيخ قاسم دوبراجا اللذان درسا في كلية الشريعة بالأزهر الشريف فتأثرا بحركة الإمام حسن البنا ــ رحمه الله ــ ونقلا تلك الفكرة إلى الشباب المسلمين في بوسنة. فانتشرت الحركة فى جميع أنحاء الولاية وكان لها دور كبير في توعية وتعليم المسلمين، كما قامت بجهود كبيرة أثناء الحرب في إيواء المهاجرين، ومساعدة الفقراء، وكفالة الأيتام... وكان من أبرز

أعضاء الحركة الأستاذ أشرف تشامبارا والأستاذ علي عزت بغوفيتش رئيس جمهورية بوسنة وهرسك حالياً.

استولى الحزب الشيوعي بقيادة تيتو TITO الذي كان كرواتي الأصل على مقاليد الحكم، وكان أكثر معاونيه في الحكومة من الصرب، فاستطاع هؤلاء (الصرب) أن يأخذوا بنصيب الأسد في يوغوسلافيا الجديدة. فتقسيم الجمهوريات داخل يوغوسلافيا لم يكن عادلاً، بل روعيت فيه مصالح صربيا فقط، حيث جعلت منطقة الجبل الأسود وسكانها من الصرب ولا يتجاوز عددهم ٥٠٠ ألف، في حين جعلت منطقة كوسوفو إقليماً (بحكم شبه ذاتي فقط) تابعاً لصربيا وعددهم يزيد بأربعة أضعاف عدد الصرب في الجبل الأسود. ثم جُعلت مدينة بلغراد (عاصمة صربيا) عاصمة ليوغوسلافيا كلها ليستفيد من ذلك الصرب وحدهم، حيث صارت جميع الصفقات التجارية الخارجية لاتتم إلاعن طريق العاصمة وتبقى النسبة الكبيرة من تلك الأرباح فيها. واستطاع الصرب أن يفرضوا أنفسهم في كل مجال من المجالات الحكومية، فبدأ عهد جديد من الاضطهاد للمسلمين.

نصبت المحاكم العسكرية للعلماء البارزين من المسلمين. وأعضاء الجمعيات الإسلامية، وخاصة أعضاء حركة الشبان المسلمين التي منعت وحُبس جميع أعضائها وأعدم عدد من أبرز الشخصيات فيها وحُكم على الآخرين بالسجن لمدة تتراوح بين السجن المؤبد والسجن لمدة سنة مع الأعمال الشاقة وإيقاف جميع

الحقوق المدنية. وكان من بين هؤلاء الأستاذ علي عزت وحُكم عليه بالسجن لمدة ١٥ سنة مع الأعمال الشاقة. ثم مُنع التعليم الديني في البيوت والمساجد واستمر قرابة ١٢ سنة كان يعاقب كل من يضبط في حلقة التعليم الديني. أدى ذلك إلى ظهور جيل من المسلمين يجهلون دينهم تمام الجهل، في حين لم يبق من العلماء القدامى إلا القليل، وهذا القليل كان مجبراً على السكوت أو منزوياً في القرى دون أن يكون لهم أي تأثير على المسلمين ووعيهم الديني.

هدمت بعض المساجد في هذه الفترة وصودرت جميع الأوقاف الإسلامية وصارت المؤسسات الإسلامية لا مستند لها ولا قدرة على البقاء، فضلاً عن أن تقوم بدورها المطلوب.

ثم خفت وطأت الحزب الشيوعي بعد أن استقر وتمكن من الحكم، فأرجع للمسلمين بعض حقوقهم المسلوبة، حيث رجعت المساجد إليهم وسُمح لهم بفتح بعض المدارس الدينية كمدرسة سراييفو الثانوية الدينية التي أرجعت للمسلمين سنة ١٩٧٢ بعد أن كانت كلية الرياضيات الحكومية. ثم بدأ المسلمون ببناء المساجد الجديدة خاصة في القرى فصاروا يفرضون أنفسهم على المجتمع اليوغوسلافي فرضاً. وقاموا بترجمة وتأليف ونشر الكتب الإسلامية التي أدت إلى ازدياد الوعي الديني والالتزام بأحكام الدين الإسلامي، وخاصة بين الشباب المثقف. فظهرت مجموعة كبيرة منهم وفرضت نفسها في مجال العلم والأدب اليوغوسلافي،

كما نظمت المحاضرات العامة لجماهير الناس في مدينة سراييفو، كل ذلك تحت إشراف غير مباشر من بقية أعضاء حركة الشبان المسلمين الذين خرجوا من السجون، فقامت الحكومة باعتقال هذه المجموعة باتهامهم لمحاولة قلب النظام وحكم عليهم بالسجن ما بين ١٥ــ٣ سنوات. كان من بين هؤلاء الأستاذ علي عزت مرة أخرى وحكم عليه بالسجن لمدة ١٢ عاماً، وذلك سنة ٨١ ميلادية، وهي آخر محاكمة من المحاكمات الشيوعية المصطنعة ضد المسلمين بهذا الحجم.

ويعود سبب تحسن أحوال مسلمي يوغوسلافيا إلى وجود عداوة كبيرة بين الصرب (وهم أورثوذكس) والكروات (وهم كاثوليك). وكان الصرب تحت الحكم العثماني، بينما كان الكروات تحت الحكم النمساوي، ولهذا لم تكن عداوتهم للمسلمين كعداوة الصرب. ولغة الصرب والكروات والمسلمين البشناق تكاد تكون واحدة. فكان الكروات يحاولون جعل المسلمين منهم بينما يدعي الصرب أن المسلمين صرباً. لكن المسلمين ينادون دائماً أنهم قومية قائمة بنفسها، فهم ليسوا صرباً ولا كرواتاً. فنتجت المنافسة بين الصرب والكروات إلى الحل الوسط وهو الاعتراف بقومية ثالثة: هي قومية المسلمين .وأدى انقسام النصارى في ولاية بوسنة وهرسك بين الصرب الأورثوذكس والكروات الكاثوليك إلى جعل المسلمين أكثرية رغم نسبتهم التي لا تزيد على ٥٠٪ في الإحصاء الأخير.

ومما يدل على تحسن أوضاع المسلمين وجود تضامن كبير بينهم واستعدادهم للمساهمة في المشاريع الإسلامية، ومن أهم تلك المشاريع تأسيس كلية إسلامية في مدينة سراييفو لتخريج الأئمة وللدراسات الإسلامية. شُرع في بناء هذه الكلية سنة ١٩٧٤، وقد ساهم الملك فيصل ـ رحمه الله ـ في بنائها بربع مليون دولار أمريكي، وليبيا بربع مليون دولار كذلك، والكويت بخمسين ألف دولار، والسودان بعشرة آلاف جنيه إسترليني. افتتحت هذه الكلية سنة ١٩٧٧ وكان حدثاً كبيراً لمسلمي يوغوسلافيا، وأذكر أنه كانت لوحة أسماء أكبر المساهمين معلقة على مدخل الكلية، وكان من بين الأسماء المذكورة بعض المسلمين البشناق الذين هاجروا من يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية وقيام الحكم الشيوعي واستقروا في أمريكا وأستراليا، فاحتجت السلطات على المسؤولين في المشيخة الإسلامية بسبب وضع أسماء «المجرمين» الأعداء لهذه الدولة التي سمحت ببناء مثل هذه الكلية، وأثيرت مشكلة كبيرة كادت تنتهي بإغلاق الكلية قبل أن تباشر عملها.

التنظيم الإسلامي والمؤسسات الإسلامية

يوجد في يوغوسلافيا اتحاد إسلامي عام يترأسه رئيس العلماء. وفي عواصم خمس جمهوريات مجالس لتنظيم شؤون المسلمين (المشيخات الإسلامية). وهذه العواصم هي: سراييفو عاصمة بوسنة وهرسك، بريشتينة عاصمة كوسوفو، سكوبيه عاصمة مقدونيا، تيتوغراد عاصمة الجبل الأسود، و(حديثاً) زاغرب

عاصمة كرواتيا. ويتبع المشيخة داخل كل جمهورية عدد كبير (في كل مدينة) من فروعها تنظم شؤون المسلمين في تلك المدن. وهناك ثلاث مدارس ثانوية للبنين في سراييفو وبريشتينة وسكوب، ومدرسة ثانوية واحدة للبنات في سراييفو. كما أن في سراييفو نفسها كلية الدراسات الإسلامية المذكورة، وبها عدد من المدرسين الذين حصلوا على الدكتوراه في الأزهر وفي بعض الجامعات اليوغوسلافية.

وتصدر المشيخات عدداً من الجرائد والمجلات الإسلامية، ولدى المشيخة في سراييفو دار النشر تطبع المصاحف وما يترجم أو يؤلف من الكتب الإسلامية. وأسس في السنة الأخيرة (بعد التغيرات الجديدة) عدد من الجمعيات الإسلامية كانت موجودة قبل الحكم الشيوعي فمنعت، ثم أعيد نشاطها الآن وسيكون لها دور كبير بين مسلمي يوغوسلافيا في ظل الظروف الجديدة إن قدر الله سبحانه وتعالى بقاءها.

وتوجد مساجد في جميع قرى ومدن جمهورية بوسنة وهرسك. أما مدينة سراييفو ففيها ٧٢ مسجداً، وشُرع أخيراً في بناء عدة مراكز إسلامية جديدة. وتوجد مساجد كذلك في كل قرى ومدن ولاية كوسوفو، وبقي في عاصمتها ١٢ مسجداً، وفي كثير من مدن وقرى مقودنيا وبقي في سكوبيه ١٥ مسجداً، وفي الجبل الأسود، وكذلك في جمهورية الصرب وكرواتيا. فيقدر مجموع المساجد في يوغوسلافيا بأكثر من ألفين وخمسمائة مسجد، إضافة إلى عشرات

من المساجد والمراكز الإسلامية التي بدأ ببنائها المسلمون هذه الأيام خاصة في الأحياء الجديدة من المدن الحديثة التي بنيت في العهد الشيوعي ولم تسمح الحكومة الشيوعية ببناء المعابد فيها.

الأحداث الأخيرة وموقف المسلمين منها

سبق أن ذكرت أن المسيطر والمستفيد الأكبر من الحزب الشيوعي هم الصرب، حيث نفذوا في جميع مجالات الحكم، فأصبح أكثر من ثمانين في المئة من ضباط الجيش الفيدرالي منهم، وأكثر من ٨٠٪ كذلك في السلك الدبلوماسي وممثلي الشركات اليوغوسلافية في الخارج، وغالب مدراء الشركات ورؤساء الجامعات وعمداء الكليات والمدرسين في جميع المراحل التعليمية والمسؤولين في الدفاع المدني والبلديات والشرطة ورئاسة الحزب وفروعه. فتجد المدرسة مثلاً (في جمهورية بوسنة وهرسك) غالبية طلابها من المسلمين ومديرها وأكثر من ٨٠٪ من المدرسين من الصرب و١٠٪ من الكروات و٥٪ فقط من المسلمين. كما كان يجد الطالب الصربي منحة دراسية وسكناً أينما ذهب ويجد الشغل أينما تخرج بخلاف الطلاب المسلمين وغيرهم.

كما فتح الحزب الشيوعي الصربي المصانع الثقيلة الملوثة للبيئة في مناطق المسلمين وجعل النصيب الأكبر منها ينتهي في العاصمة الصربية. كل ذلك بالإضافة إلى إحلال الصرب محل المسلمين الذين هاجروا إلى تركيا من بعض مناطق كانت إسلامية ثم

أصبحت الأغلبية فيها للصرب. ولنفس الأسباب جيء بأكثر من ١٥٠ ألف صربي إلى سراييفو عاصمة بوسنة، ولو بقي الحكم الشيوعي لبلغ عدد الصرب فيها عدد المسلمين (٣٥٠ألفاً) لمدة وجيزة... إلى غير ذلك من الصور الغريبة التي تدل دلالة قاطعة على أن الصرب هم المستفيد الأكبر من مجموع سكان يوغوسلافيا.

وانكشفت نوايا الصرب المتعصبين بعدما حاولوا في السنوات الأخيرة تصفية الحزب الشيوعي من غيرهم وقاموا بفصل أعداد كبيرة من المسلمين والكرواتيين والسلوفنيين من الحزب الشيوعي، على الرغم من أن كل مسلم يدخل الحزب الشيوعي كان عليه أن يُثبت ولاءه للصرب وذلك بتضييقه على إخوانه من المسلمين أكثر من الصرب أنفسهم. فكان في كل المحاكمات التي حوكم فيها المسلمون لابد أن يكون القاضي فيها مسلماً شيوعياً فتكون الأحكام أقسى مما يُتصور.

ثم زاد الموقف الصربي وضوحاً ما فعله الحزب الشيوعي الصربي بإخواننا المسلمين الألبانيين في ولاية كوسوفو (وهم الأغلبية العظمى فيها ٩٥٪)، حيث طالب الألبانيون بتحسين أوضاعهم واعتراف منطقتهم كجمهورية مثل الجمهوريات الأخرى ونظموا لذلك مظاهرات شعبية كبيرة سنة ١٩٨١، فما كان من الحزب الشيوعي الصربي إلا أن أرسل ميليشاته الخاصة وأذاق الألبانيين الأمرين، وبلغ عدد المفصولين من وظائفهم أكثر من ١٠٠ ألف عامل ألباني، إضافة إلى مئات القتلى أثناء قمع تلك المظاهرات

بالحديد والنار. ومازالت السياسة نفسها تنفذ على الألبانيين في كوسوفو إلى أيامنا هذه حيث فصل عدد كبير من المدرسين الألبانيين الذين رفضوا التدريس باللغة الصربية وجيء بدلهم بالمدرسين الصرب، كما ألغيت جميع امتيازات ولاية كوسوفو ولم يعترف ببرلمانها الرسمي رغم موجة الديموقراطية الحديثة التي لم ينل شيئاً منها الألبانيون.

وبإفلاس الشيوعية العالمية وسقوطها بدأت تفلت قيود الشيوعية الصربية اليوغوسلافية. فقد بلغت الديون الخارجية للدولة أكثر من ٢٤ مليار دولار أمريكي، صرف أغلبها أعضاء الحزب وضباط الجيش لتعزيز مواقعهم داخل البلد بعد أن شعروا بقرب نهايتهم. وبدأت الشركات تعلن عن إفلاسها كما بدأ العمال بالإضرابات العامة أدت إلى زيادة هبوط قيمة العملة اليوغوسلافية حتى بلغ ٨٠٠٪ سنوياً. فأصبح الحزب الشيوعي غير قادر على ضبط الأمور وبدأ يفسح الطريق أمام الحريات قليلاً قليلاً إلى ان وعد بإجراء أول انتخابات حرة في يوغوسلافيا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

بدأت كل قومية تؤسس لها حزباً مستقلاً ببداية النصف الثاني من العام الماضي ونادت كل قومية بحقوقها التاريخية المزعومة، كما اختلطت المشاعر الدينية المتطرفة بالمشاعر القومية المتعصبة، فتنادى الحزب الصربي إلى إقامة صربيا الكبرى التي تشمل صربيا الحالية وجمهورية بوسنة وهرسك والجبل الأسود ومقدونية وأجزاء

كبيرة من جمهورية كرواتيا، حيث يسكن تلك المناطق كلها بعض الأفراد الصربيين، وكلهم لابد أن يعيشوا (على زعمهم) في دولة واحدة وقام الحزب الكرواتي الأورثوذكسي ينادي بإقامة كرواتيا الكبيرة التي تشمل كرواتيا الحالية وجمهورية بوسنة وهرسك.

أدركت حكومة صربيا خطورة الموقف فأفرغت في هذه المدة الوجيزة جميع خزائن الدولة وأودعت مبالغها في البنوك السويسرية على حسابات الأشخاص المسؤولين في الحزب بحيث لا يبقى شيء من ذلك لمن يأتي بعدهم على الحكم. وفي نفس الوقت حاولت الحكومة الصربية إجراء الترتيبات الجديدة في القوانين اليوغوسلافية كي تعرقل السير أمام الأحزاب القومية مع اعتمادها في ذلك كله على الجيش اليوغوسلافي.

استطاع المسلمون الذين ليست لديهم نزعة قومية قوية أن يؤسسوا حزباً سياسياً خاصاً بهم باسم «حركة الجبهة الديمقراطية» واستطاع هذا الحزب رغم تخوف عدد من المسلمين وعدم انضمامهم إليه أن يستقطب غالبية أصوات المسلمين فأصبح بذلك أكبر الأحزاب في الجمهورية. أجريت الانتخابات في نهاية العام الماضي وكانت النتائج كما يلي: فاز الحزب الصربي الاشتراكي القومي بأكثر من ٨٠٪ من الأصوات في صربيا، وتورعت الأصوات الباقية على الأحزاب الصربية القومية الأخرى، وتتفق جميعها مع الحزب الفائز في إقامة صربيا الكبرى. وقاطع المسلمون الألبانيون هذه الانتخابات لعدم اعتراف صربيا بحكومتهم.

وفاز الحزب السلوفيني القومي بأغلبية ساحقة في سلوفينيا وكذلك الحزب الكرواتي القومي في كرواتيا.

وفاز الحزب المقدوني بالأغلبية في مقدونيا، إلا أن ما يقارب ٨٠٠ ألف ألباني صوت لصالح الحزب الألباني القومي الذي لم تعترف به مقدونيا. وكذلك في الجبل الأسود حيث فاز الحزب الصربي القومي ولم ينل المسلمون شيئاً.

أما جمهورية بوسنة فجاءت النتائج فيها كما يلي: حصل الحزب الصربي القومي على ٣٣٪ من الأصوات وصوت له أكثر من ٩٥٪ من الصرب، والحزب الكرواتي القومي على ١٨٪ وصوت له أكثر من ٩٥٪ من الكروات، والحزب الإسلامي على ٣٨٪ ومعنى ذلك أن أكثر من ١٠٪ من المسلمين صوت لصالح الحزب الشيوعي الاشتراكي والحزب البوسنوي القومي، وضاعت بذلك فرصة الحصول على غالبية الأصوات من مجلس النواب البوسنوي.

شُكلت الحكومة الائتلافية بين الأحزاب القومية الثلاثة واختير رئيس حزب المسلمين الأستاذ علي عزت بغوفيتش رئيساً لها. ولم يرض الصرب بذلك وطالبوا بتمزيق بوسنة وضم أكثر أراضيها إلى صربيا.

أسرعت الحكومات الجديدة بتغيير القوانين والدستور في سبيل الخروج من النظام الاقتصادي الفاشل، وكذلك حرصاً منها على استقلالها السياسي وتثبيت حكمها الجديد، وكانت الحكومات الجديدة وخاصة في سلوفينيا وكرواتيا تقترح أن تصبح يوغوسلافيا

مجموع الدول المستقلة ويكون الرباط بينها شكلياً بحيث تبقى المنطقة تسمى بدولة يوغوسلافيا. أحست صربيا بأنها ستخسر مصالحها وامتيازاتها التي كانت لها في ظل الحكم السابق فنادت إلى إبقاء النظام (المركزي) القديم واتهمت الحكومات الأخرى بأنها تعمل على هدم يوغوسلافيا وذلك لا يوافق عليه أحد (على زعمهم) لأن أوروبا كلها ترمي إلى الاتحاد فكيف تتفكك يوغوسلافيا إلى دويلات صغيرة داخل تلك المجموعة الأوروبية؟ أصرت صربيا على موقفها هذا ولم تقبل أي نقاش في الحكومة الفيدرالية (وكان رئيسها منهم) عن تغيير شكلها القديم.

كل هذا جعل سلوفينيا وكرواتيا تخطو خطوات فعلية نحو الاستقلال فكونت وحدات الجيش الشعبي واشترت الأسلحة من الخارج استعداداً للدفاع أمام هجوم الجيش الاتحادي المسير من قبل صربيا. وفعلت صربيا الشيء نفسه حيث وزعت الأسلحة على الصرب في كل المناطق بواسطة الجيش الاتحادي دون أن يملك أحد الاعتراض على ذلك، والأمر كان أيسر على صربيا من غيرها حيث توجد مصانع الأسلحة الحديثة في صربيا وتحت إدارة القيادة العسكرية، فلم يشتروها من أحد إنما وزعت عليهم مجاناً.

وبلغت الأزمة أشدها حينما أعلنت سلوفينيا استقلالها الفعلي، فأرسلت صربيا القوات العسكرية الرسمية على سلوفينيا لتلقينها درساً تكون فيه عبرة للجمهوريات الباقية التي تسول لها نفسها الاستقلال، لكن وقوف الجيش الشعبي السلوفيني في وجه الجيش

الفيدرالي أثبت عزم سلوفينيا على تحقيق رغبتها في الاستقلال، فاضطر الجيش الفيدرالي ــ بعد أن ضرب بعض المدن السلوفينية في محاولة يائسة منه تسبب الأضرار الجسيمة على سلوفينيا ــ على الانسحاب ووُقعت الاتفاقية على سحب القوات الفيدرالية من سلوفينيا وبالمقابل تجميد سلوفينيا إجراءاتها نحو الاستقلال لمدة ثلاثة شهور. ثم جرى الأمر نفسه مع كرواتيا، إلا أن الحرب ضد كرواتيا أخذت شكلاً أكبر وذلك لوجود بعض المناطق داخل كرواتيا يقطنها الأغلبية الصربية. فتمركزت وحدات الجيش المتطوع الصربي في تلك المناطق من كرواتيا يساندها الجيش الفيدرالي كلما احتاجت إلى المساعدة، في حين أن قادة الجيش ما زالوا يدعون أنهم لا ينحازون لأحد في هذه الحرب، وأن هدفهم التفريق بين المقاتلين وإيقاف هذه الحرب.

ازداد دفاع القوات الكرواتية واستطاعت أن تجابه القوات الصربية والجيش الفيدرالي مجتمعين فأغاظ ذلك قادة الجيش فأصبحوا في الآونة الأخيرة يهاجمون أكثر المدن الكرواتية التي لا شأن لها في النزاع القائم وليس فيها الصرب إطلاقاً، بل صرح أحد كبار المسؤولين العسكريين أن هدف الجيش إسقاط الحكومة الكرواتية التى اعتُبرت غير رسمية وغير ممثلة لشعبها، رغم أنها انتخبت فى الانتخابات الحرة الرسمية الأخيرة. ونشهد هذه الأيام زيادة الاشتباكات في جميع الجبهات وسقوط عشرات القتلى يومياً، كما نشهد فشل جميع المحاولات الرامية إلى إنهاء الحرب لسبب

موقف الصرب العنيد، ولا يوقفهم إلا القوة العالمية التي يدعو الكثير من الدبلوماسيين الغربيين الآن إلى تدخلها.

أما جمهورية بوسنة فتأثرت بهذه الحرب كما تأثرت جميع الجمهوريات الأخرى حيث ازدادت الأزمة الاقتصادية وصارت أكثر الشركات غير قادرة على صرف الرواتب للعمال الأمر الذي أدى إلى الإضرابات المستمرة، إضافة إلى التوتر الشديد لاحتمال اندلاع الحرب فيها كذلك، لا سيما وقد تمركزت فيها جميع القوات المنسحبة من سلوفينيا. والأمر الذي يزيد من صعوبة الموقف أن أكثر الجنود المشاركين في هذه الحرب التي لا مبرر لها من المسلمين البسنويين ومن إخوانهم الألبانيين حيث رفضت سلوفينيا إرسال شبابها إلى الجيش الفيدرالي وكذلك كرواتيا، وهؤلاء الجنود من المسلمين هم في الصفوف الأولي من الجبهة وأكثر القتلى منهم. ناشد رئيس بوسنة أولياء أمور الشباب أن لا يرسلوا أولادهم إلى الجيش لأن الحرب هذه لا علاقة لنا بها، إلا أن الصرب الساكنين في بوسنة يعارضون جميع قرارات الحكومة البوسنوية الجديدة، بل أعلنوا عن استقلال أجزاء من بوسنة يكثر فيها الصرب وانضمام تلك المناطق إلى صربيا الأم. وزادت الأوضاع سوءاً حيث نسمع في الأخبار هذه الأيام عن مهاجمة القوات الصربية مع الجيش الفيدرالي لبعض المدن الكرواتية القريبة من حدود بوسنة من مواقعها في المدن المجاورة داخل جمهورية بوسنة، ثم يقوم الكرواتيون برد إطلاق النار عليها محاولة من الجانبين إدخال بوسنة في هذه

الحرب، لا سيا وقد صرح أكثر من مسؤول في الأحزاب الصربية المتطرفة بأن الفرصة قد حانت لهم للانتقام من المسلمين وذبحهم من جديد كما فعلوا بهم أثناء الحرب العامة الأخيرة. وبما أن هناك منطقتين تعتبران من صربيا (كوسوفو وسنجاق) والأكثرية فيهما من المسلمين حرص الصرب على الاستفادة الكاملة من خبرة اليهود في محاربة المسلمين فبدأ في الآونة الأخيرة التقرب الفعلي بين حكومة صربيا والحكومة الإسرائيلية حيث صرح المسؤولون في الحزب الصربي القومي بأن قطع العلاقات مع الكيان الصهيوني كان من أكبر الأخطاء التي ما كان ينبغي أن تحصل. ومن آثار هذا التقرب إعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وإرسال عدة آلاف من الميليشيات الصربية الخاصة للتدريب في تل أويو.

وحاولت صربيا إدخال بوسنة في هذه الحرب بحيث دخلت فرق الجيش الصربي المتطوع إلى بعض المناطق وأطلقت النار على بيوت المسلمين استفزازاً لهم حتى تبدأ الاشتباكات ثم يتدخل الجيش بحجة التفريق ويساعد الصرب، لكن الرئيس علي عزت المشهور بسياسته الموضوعية والواقعية طالب جميع المسلمين أن يصبروا ولا يقعوا في مكايد هؤلاء، بل يستعدوا وينتظروا الوقت المناسب للرد عليهم. كما ناشد الرئيس جميع المواطنين في جمهورية بوسنة أن يساهموا جميعاً في حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية لبناء مجتمع ديمقراطي جديد يتمتع فيه الجميع بكامل الحريات السياسية والدينية. وناشد الرئيس جميع الدول الإسلامية ــ شعوباً وحكومات ــ أن تقف بجانب إخوانهم المسلمين في يوغوسلافيا،

ووجه نداءات إلى جميع الجهات المعنية أن يمدوا يد العون، ويساهموا في ولادة عصر جديد لمسلمي يوغوسلافيا.

وأخيراً فقد بلغ التوتر مداه بعد إعلان برلمان جمهورية بوسنة وهرسك الاستقلال عن يوغوسلافيا إذا انفصلت سلوفينيا وكرواتيا، حيث قوبل هذا القرار بردود الفعل العنيفة من قبل الطائفة الصربية وانسحب ممثلوهم من جلسة البرلمان احتجاجاً على هذا القرار، كما هددوا بالقتال وأعلنوا عدم اعترافهم بجمهورية بوسنة وهرسك وحكومتها الحالية إطلاقاً.

لذا نناشد إخواننا المسلمين أن يساندوا ويساعدوا إخوانهم في يوغوسلافيا بكل ما يستطيعون، وأن يمدوا لهم يد العون في سبيل رد كيد الكائدين ودفاعاً عن حياتهم وأعراضهم ودينهم، ونحثهم على مساعدة إخوانهم إعلامياً، وسياسياً، واقتصادياً، لعلهم يتجاوزون هذه المرحلة الخطيرة، بل أخطر مرحلة في تاريخ وجودهم في شبه جزيرة البلقان الأوربية.

زهدى بابكر عادلوفيتش
الطالب فى كلية أصول الدين
بجامعة الامام محمد بن سعود
مرحلة الماجستير

لجنة مسلمي يوغوسلافيا
لدى الندوة العالمية
للشباب الإسلامي بالرياض
الرياض ١٢/٤/١٦
الموافق ١٩٩١/١٠/٢٣م

رقم الإيداع
٩٢/٤٠٩١

* كلمة الناشر *

تشهد يوغوسلافيا في الأيام الحالية أوضاعاً مأساوية وحرباً أهلية ضارية شرسة.

وفي خضم هذه الأحداث يتساءل المسلمون في العالم عن إخوانهم المسلمين في هذا البلد وعن تاريخ الإسلام فيمه وأيامه الزاهرة في هذه الديار.

وكم سُئلنا في دار ومكتبة الشواف عن كتاب أو مؤلف حول هذا الموضوع إلا أن الإجابة كانت سلبية في جميع الأحوال.

ومن أجل ذلك فقد قررت دار الشواف أن تقدم للقارىء العربي المسلم هذا الكتاب الموجز المختصر لعله يجيب على بعض أسئلتهم حول هذا البلد والمسلمين فيه وأحوالهم وهو من تأليف خبير متخصص في التاريخ عاش في هذا البلد وخبرة عن قرب مدة تزيد على عشرين عاماً.

دار الشــواف للنشر والتوزيع

الريـاض – العليـا – شـارع الثلاثين – شـرق بنده ت ٤٦٢٢٦٣٠ – ٤٦٢٢٦٦٧ فاكس ٤٦٢٢٨٦٦
Riyad - Olaiya, Thalatheen St. (East to Panda) Tel 4622630 - 4622667 - Fax 4622866

طبع بالمطبعة الفنية ت ٣٩١١٨٦٢